الأناجيل

مفتتح

كثيرون من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج بل بالحيرة عندما يتأملون فى معنى بعض الروايات أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروى فى كثير من الأناجيل . تلك هى الملاحظة التى يقدمها الأب روجى R.P. Roguet فى كتابه . «مقدمة إلى الإنجيل»[1] 'Initiation a l'Evangile' . إن التجربة الثرية التى اكتسبها هذا الكاتب ، حيث إنه كان لسنوات طويلة مكلفاً بالرد فى جريدة أسبوعية كاثوليكية على قراء الأناجيل الذين تحيرهم النصوص ، هذه التجربة قد سمحت له أن يدرك مدى أهمية الاضطراب الذى يشعر به قراء الأناجيل . ويلاحظ أن طلبات الشرح التى يبعث بها محدثوه ، الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية شديدة التنوع ، تنصب على نصوص يراها القراء «مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة» . إذن ليس هناك شك فى أن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين .

وهذه ملاحظة قريبة العهد : فقد نشر كتاب الأب روجى عام ١٩٧٣ . وفى عصور ليست بعيدة تماماً كانت أغلبية المسيحيين لا تعرف من الأناجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ . وإذا وضعنا حالة البروتستانت جانباً فإنه لم تكن قراءة الأناجيل فى كليتها أمراً سائداً فيما عدا بعض المناسبات . إن كتب التعليم الدينى لم تكن تحتوى إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله . وفى أثناء دراساتى الثانوية بإحدى المدارس الكاثوليكية وقعت يدى على مؤلفات لفرجيل وأفلاطون ، ولكن لم يحدث أبداً أن وقعت يدى على العهد الجديد . ومع ذلك فالنص اليونانى للعهد الجديد كان يمكن أن يكون مفيداً . وبعد ذلك بفترة طويلة أدركت لِمَ لم يعطنا مدرسونا واجبات ترجمة من الكتب المقدسة المسيحية . كان يمكن أن تقودنا هذه الكتب إلى أن نطرح على أساتذتنا أسئلة الرد عليها محرج .

---

(١) Editions du Seuil, 1973.

هذه المكتشفات التى ينتهى إليها امرؤ ذو روح نقدية عند قراءة الأناجيل بأكملها قد قادت الكنيسة إلى التدخل لمساعدة القراء للتغلب على حيراتهم . «كثير من المسيحيين يحتاجون إلى تعلّم قراءة الأناجيل» على حد قول الأب روجى . وسواء اختلف المرء أو اتفق مع التفاسير التى تعطى فإن جدارة الكاتب كبيرة حقًّا فى مواجهة المشاكل الحرجة . ولكن مما يؤسف له أن الأمر ليس كذلك دائماً فيما يختص بكثير من الكتابات الخاصة بالتنزيل المسيحى .

فى منشورات التوراة الموجهة للانتشار الواسع نجد أن الملاحظات الأولية تعرض فى غالب الأحيان مجموعة من الاعتبارات تنحو إلى إقناع القارئ بأن الأناجيل لا تطرح بتاتاً مشاكل تتعلق بشخصية كتاب مختلف الأسفار وبصحة النصوص وبالطابع الحقيقى لهذه الروايات . وعلى حين توجد كثير من المجاهيل بالنسبة لكتاب لم نتأكد من هويتهم ، فإننا نجد كثيراً من التحديدات فى هذا النوع من الملاحظات التى كثيراً ما تقدم ما ليس إلا مجرد فرض على أنه أمر يقينى ، مؤكدة أن هذا المبشر أو ذلك كان شاهداً عياناً لأحداث محددة على حين تدعى دراسات متخصصة عكس ذلك . إن المسئولين يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص . يريدون إيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهى على حين أثبت المتخصصون أن هذه النصوص قد أصابتها تعديلات كثيرة . ويتحدثون هنا وهناك عن بعض مصاعب التفسير ولكنهم يغضون النظر عن المتناقضات البينة التى تقفز إلى عينى من يتأمل . يلاحظ القارئ فى المعاجم الصغيرة الملحقة بالمقدمات المطمئنة أن الأمور غير المعقولة أو المتناقضات أو الأخطاء الصارخة كثيراً ما تتجنب أو تخنق بحجج مديحية بارعة . وإنه لما يروع القارئ هذا الحال من الأمور الذى يبين بجلاء الطابع الخداع لهذه التعليقات .

إن الاعتبارات المدروسة هنا ستدهش – ولاشك – القراء الذين لم يحيطوا علماً بعد بهذه المشكلات . ولذا وقبل أن ندخل فى صميم الموضوع ، آمل أن أوضح غرضى من الآن وذلك بمثال يبدو لى أنه يبرهن تماماً على ما نقول .

لا متى ولا يوحنا يتحدثان عن صعود المسيح . أما لوقا فإنه يحدده بيوم القيامة فى إنجيله

وبعد أربعين يوماً فى «أعمال الرسل» التى يقال إنه كاتبها . أما فيما يخص مرقس فإنه يشير إليه (دون تحديد تاريخه) ، وذلك فى خاتمة تعتبر حالياً غير صحيحة . وعلى ذلك فليس للصعود أى قاعدة كتابية متينة . برغم ذلك فإن المعلقين يتعرضون لهذه المسألة الهامة باستخفاف لا يصدق .

إن ا . تريكو A. Tricot لا يكرس مقالاً عن الصعود فى «المعاجم الصغيرة للعهد الجديد» من الكتاب المقدس طبعة كرامبون Crampon ، وهو كتاب واسع الانتشار[1] أما طبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة Synopse des Quatres Evangiles التى قام بها الأبوان بينوا وبوامار R.R.P.P. Benoit et Boismard ، الأستاذان بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس[2] ، فإنها تعلمنا فى الجزء الثانى منها (ص ٤٥١ و٤٥٢) أن التناقض ، عند لوقا ، بين إنجيله و «أعمال الرسل» يرجع إلى «حيلة أدبية» . وليفهم من يفهم . . !

أما الأب روجى فإنه ، على ما يبدو ، لم يخضع لإغراء مثل هذه الحجة . ومع ذلك فأقل ما يمكن أن يقال عن التعليل الذى يعطينا إياه هو أنه فريد . يقول الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» ، طبعة ١٩٧٣ (ص ١٨٧) : «إن المشكلة هنا ، كما فى كثير من المشاكل المشابهة ، لا تبدو غير قابلة للحل إلا إذا أخذ المرء بحرفية دعاوى الكتاب المقدس ونسى دلالتها الدينية . ليس المقصود هو حل واقع الأمور برمزية مائعة ، وإنما المقصود هو البحث عن النية الدينية لدى هؤلاء الذين يكشفون لنا الأسرار بتقديم أمور محسوسة وعلامات خاصة بالجذور المادية لعقلنا» .

كيف نكتفى بمثل هذا التفسير . . ؟ إن الصيغ المديحية من هذا النوع لا يمكن أن تصلح إلا للمؤمنين بلا قيد ولا شرط .

إن أهمية عبارة الأب روجى تكمن أيضاً فى اعترافه بوجود «حالات كثيرة مشابهة» لمسألة الصعود فى الأناجيل . وإذن فيجب التعرض للمشكلة بشكل شامل ومن جذورها

---

(١) Desclée et Cie, 1960.

(٢) Editions du Cerf, 1972.

وبمنتهى الموضوعية . يبدو أن من الحكمة إذن البحث عن توضيحات فى دراسة الظروف التى كتبت الأناجيل فى ظلها وفى دراسة المناخ الدينى الذى كان سائداً فى ذلك العصر . إن توضيح التعديلات التى وقعت على الصيغ الأولى التى تمت بالاعتماد على التراث الشفهى ، وتوضيح التحريفات التى حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا ، كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل ، بل قد تذهب فى بعض الأحيان إلى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التى أثبتها اليوم التقدم العلمى . مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان فى عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذى أصابها بعد ذلك .

والأمر الواقع الآن هو أنه منذ عشرات من السنوات حدث اهتمام بدراسة الكتب المقدسة بروح بحث موضوعى . وفى كتاب ظهر منذ عهد قريب ، بعنوان « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان (١) Foi en la Resurrection, Re surrection de la Foi يعطى الأب كانينجسر R.P. Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس ، لمحة عن هذا التغير العميق . يقول « يكاد شعب المؤمنين ألا يعرف بهذه الثورة التى حدثت فى مناهج تفسير التوراة منذ عصر بى الثانى عشر Pie XII ١٩٣٩ – ١٩٥٨ » . إن « الثورة » التى يتحدث عنها المؤلف قريبة من عهدنا إذن . وقد بدأت امتداداتها تصل إلى تعليم المؤمنين ، يقوم بهذا على الأقل بعض المتخصصين الذين يحركهم روح التجديد . ويقول المؤلف أيضاً : « إن هذه الثورة فى مناهج التفسير تفتح الطريق بشكل يقل أو يكثر لانقلاب فى أرسخ رؤى تقليد الوعظ والإرشاد الكنسيين » .

ويحذر الأب كانينجسر من أنه « لم يعد واجباً الأخذ بحرفية » الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل فهى « كتابات ظرفية » أو « خصامية » . . « يذكر » كتابها « أقوال جماعة كل منهم عن المسيح » . وفيما يختص بقيامة المسيح ، وذلك هو موضوع كتابه ، يشير الأب كانينجسر إلى استحالة أن يعطى أى كاتب من كتاب الأناجيل لنفسه صفة الشاهد العيان . وهو بذلك يدع للفهم الضمنى أن بقية حياة المسيح العامة . يبدو أن ينظر إليها بنفس

(١) Beauchesne, Collection "Le Point Thèologique", 1974.

الشكل ، حيث إنه ليس هناك أى حوارى — باستثناء يهوذا الأسخريوطى — قد انفصل عن السيد منذ اللحظة التى تبعه فيها حتى آخر أعماله على هذه الأرض .

ها نحن أولاء إذن بعيدون تماماً عن المواقف التقليدية التى كان يؤكدها بالتبجيل مجمع الفاتيكان الثانى منذ عشر سنوات بالكاد والتى تستأنفها الكتب الحديثة الموجهة لعامة المؤمنين . ولكن الحقيقة تخرج إلى النور شيئاً فشيئاً .

وليس من السهل إدراكها فثقيل حقًّا وزن التقاليد الموروثة التى دوفع عنها بشراسة . وإذا أردنا أن نتحرر من هذا الثقل فيجب الأخذ بالمشكلة من القاعدة أى أن تدرس أولاً الظروف التى سادت ميلاد المسيحية . .

تذكرة تاريخية

اليهودية — المسيحية وبولس

تعتقد غالبية من المسيحيين أن كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح وأنهم بهذا قد أقاموا شهادات لا تقبل الجدل عن الأحداث التى وقعت فى حياته وتبشيره . فكيف يمكن للمؤمن، عندما يواجه مثل ضمانات الصحة هذه ، أن يناقش المعلومات التى قد تخرج منها ؟ كيف يمكن للمؤمن أن يشك فى قيمة المؤسسة الكنسية التى نشأت بفضل تطبيق التوجيهات العامة التى أعطاها المسيح . إن طبعات الأناجيل الحالية الموجهة للعامة تحتوى على تعليقات تهدف إلى نشر هذه المعلومات بين الجمهور.

فالمسئولون عن هذه الطبعات يقدمون صفة شهود العيان من محررى الأناجيل باعتبارها أمراً بديهيًّا . ألم يكن القديس جوستين ، فى منتصف القرن الثانى ، يطلق على الأناجيل اسم «مذكرات الرسل» . . ؟ ثم إن التحديدات التى تعلن على الملأ والتى تخص المحررين هى من الكثرة بحيث إن المسيحى يتساءل كيف يمكن الشك فى صحتها : على سبيل المثال يقال إن متى كان شخصية معروفة ، «كان موظفاً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم» ، بل يقال أيضاً إنه كان يعرف الآرامية واليونانية . وأما مرقس فهويته معروفة تماماً باعتباره مساعد بطرس : فلا شك إذن أنه كان شاهد العيان . وأما لوقا فهو هذا «الطبيب العزيز» الذى يتحدث بولس عنه ، والمعلومات عنه دقيقة جدًّا . وأما يوحنا فهو الرسول القريب دائماً من المسيح وهو ابن زبيد ، الصياد ببحيرة كـثروت (Génésareth).

إن الدراسات الحديثة عن بدايات المسيحية تظهر أن هذه الطريقة فى تقديم الأمور لا تتفق مطلقاً مع الواقع . وسنرى فيما بعد ما يخص كتاب الأناجيل من هذا الأمر . أما فيما يتعلق بعشرات السنوات التى تلت رسالة المسيح فيجب على القارئ معرفة أن الأحداث لم تقع مطلقاً كما قيلت وأن وصول بطرس إلى روما لم يؤسس مطلقاً الكنيسة . بل على العكس فبين اللحظة التى غادر فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثانى ، أى طيلة أكثر

من قرن ، كانت هناك معركة بين اتجاهين : أى بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية وبين اليهودية — المسيحية . ولم يحل الاتجاه الأول محل الثانى ولم تنتصر البولسية على اليهودية — المسيحية إلا بشكل شديد التدرج .

وهناك عدد كبير من الدراسات التى تعود إلى العقود الأخيرة ، قد تأسست على مكتشفات عصرنا وهى التى سمحت بالوصول إلى هذه المعلومات الحديثة التى يرتبط بها اسم الكاردينال دانيلو Danielou . إن المقال الذى نشره فى ديسمبر ١٩٦٧ بمجلة « دراسات "Etudes" » هو « رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية — المسيحية » تستأنف الأبحاث السابقة : إنه يضع خطوط تاريخ المسيحية ويسمح لنا بتحديد ظهور الأناجيل وذلك فى سياق يختلف تماماً عن ذلك الذى تقول به المعلومات الموجهة لعامة الجمهور . وسيجد القارئ فيما يلى تلخيصاً للنقاط الجوهرية لهذا المقال مع فقرات كبيرة منه .

كونت « مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح » طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم ، إن جاز القول ، نظام خاص : إذ يحلهم مجمع القدس المسكونى (٤٩ م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية ، ورفض كثير من اليهود — المسيحيين هذا التنازل . وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس . بل أكثر من ذلك فقد اصطدم بولس واليهود — المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (أحداث أنطاكية عام ٤٩ م) « فالطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أموراً بالية ، فى نظر بولس ، حتى بالنسبة لليهود أنفسهم . فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود » .

أما اليهود — المسيحيون الذين ظلوا « يهوداً مخلصين » فإنهم يعتبرون بولس كخائن : وتصفه وثائق يهودية — مسيحية « بالعدو » وتتهمه بتواطؤ تكتيكى » . ولكن « اليهودية — المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة » و « كان بولس منعزلاً » فى ذلك الوقت . كانت رئيس الجماعة جاك Jacques قريب المسيح . وكان معه (فى البداية) بطرس ثم يوحنا . « ويمكن اعتبار جاك Jacques كعمود اليهودية المسيحية الذى ظل ،

عن إرادة ، ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية » . إن أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة فى هذه الكنيسة اليهودية المسيحية بالقدس . « وقد خلف سيميون Siméon جاكا Jacques وهو ابن كاليوبا ابن عم (؟) للمسيح » .

ويذكر الكاردينال دانيلو فى مقاله الكتابات اليهودية — المسيحية التى تقدم نظرات هذه الجماعة عن المسيح ، تلك الجماعة التى تكونت أولاً حول الحواريين . وهذه الكتابات هى إنجيل العبريين (الذى يعود إلى جماعة يهودية مسيحية مصرية) « ومأثورات كليمنت Hypotyposes de Clément » و « الفضائل الكليمنتية Reconnaissances Clémentines » و « نهاية العالم الثانية لجاك Seconde Apocalypse de Jacques » وإنجيل توما [1] Evangile de Thomas » « وكما يبدو فإنه من الواجب أن نعزو إلى هؤلاء اليهود — المسيحيين أقدم مخطوطات الأدب المسيحى » التى يشير إليها الكاردينال دانيلو بالتفصيل . يقول :

« لم تكن اليهودية — المسيحية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة . فقد تطورت البعثة اليهودية — المسيحية ، فيما يبدو ، فى كل مكان قبل البعثة البولسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة فى رسائل بولس إلى صراع ما » . إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب ، بغلاطية ، وكورنتة وكولوس وروما وأنطاكية .

كان الساحل السورى — الفلسطينى ، من غزة إلى أنطاكية ، يهودياً مسيحياً « كما تشهد بذلك أعمال الرسل والكتابات الكليمنتية » . وفى آسيا الصغرى فوجود اليهود — المسيحيين ، تشهد به رسائل بولس إلى الغلاطيين والكولوسيين . أما كتابات بانياس فهى تعطى معلومات عن اليهودية المسيحية بفريجى . وفيما يخص اليونان فتذكر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس اليهود المسيحيين وبابوللوس على وجه خاص . وتعد روما « مركزاً هاماً » حسب رسالة كليمنت وراعى هرمياس . ويرى سويتون Sue'tone وتاسيت Tacite أن المسيحيين يشكلون طائفة يهودية . ويعتقد الكاردينال دانيلو أن أول تبشير بالأناجيل فى أفريقيا كان يهودياً — مسيحياً . وإلى اليهودية المسيحية يعزى أيضاً إنجيل

---

(١) مما يجدر ملاحظته أن هذه الكتابات سيحكم عليها بأنها مزورة ، أى مستوحية apocryphes للإخفاء ، وقد فعلت هذا الكنيسة المنتصرة التى ولدت بانتصار بولس . ولقد قامت بعمليات قطع فى الأدب الإنجيلى ولم تحتفظ إلا بالأناجيل الأربعة القانونية .

العبريين وكتابات كليمنت الإسكندرى .

إن معرفة هذه الوقائع أمر رئيسى حتى نفهم فى أى جو من الصراع بين الجماعات حررت الأناجيل . إن خروج النصوص التى نملكها اليوم إلى النور قد بدأ فى عام ٧٠م، بعد تعديلات فى المصادر . وهى الفترة التى كانت الجماعتان المتنافستان فى أوج صراعهما وكانت السيادة فى ذلك الوضع لليهود المسيحيين . ولكن الموقف انقلب تماماً بسبب حرب السبعين وسقوط القدس . ويشرح الكاردينال دانيلو أسباب الانهيار كما يلى :

« لما كان اليهود منبوذين فى الإمبراطورية فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم عندئذ ساد المسيحيون الهللينستكيون : لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته . بهذا انفصلت المسيحية اجتماعيًّا وسياسيًّا عن اليهودية لتكون ما يعرف بالشعب الثالث . برغم ذلك ، وحتى آخر التمرد اليهودى عام ١٤٠ م كانت اليهودية المسيحية سائدة ثقافيًّا » .

ومن عام ٧٠ م وحتى فترة تحدد بما قبل عام ١١٠م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا . ولا تشكل هذه الأناجيل أولى الوثائق الثابتة فى المسيحية : فرسائل بولس سابقة عليها . وفى رأى ا . كولمان O. Culmann أن بولس قد كتب عام ٥٠ م رسالته إلى أهل تسالونيكى . ولكن لا شك أنه كان قد مات منذ عدة سنوات عندما انتهى إنجيل مرقس .

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش ؛ وإذا كان قد اعتبر خائناً لفكر المسيح ، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول جاك Jacques . فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه . ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق . ومن المسموح به أن نتساءل ما كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس ، ونستطيع فى هذا المقام أن نقيم افتراضات كثيرة . ولكن ، فيما يخص الأناجيل ، فليست هناك مجازفة كبيرة فى أنه لولا جو الصراع بين الطرائف التى ولدت بسبب انشقاق بولس ، لما حصلنا على الكتابات التى فى حوزتنا اليوم . إن هذه « الكتابات الخصامية » ، كما يصفها الأب كانينجسر ، قد ظهرت فى فترة صراع

حاد بين الطائفتين ، وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح . فى هذا العصر شكلت المسيحية البولسية بعد نصرها النهائى مجموعة نصوصها الرسمية أى « القانون » Canon الذى يستبعد كل الوثائق الأخرى التى لم تكن توافق الخط الذى اختارته الكنيسة ويعدها معاكسة للأورثوذكسية .

وبرغم أن اليهود — المسيحيين « قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ فقد ظل الحديث عنهم جارياً ولكن تحت اسم « المستهودين » Judaisants . ويتحدث الكاردينال دانيلو عن نهايتهم كما يلى :

« بانقطاع اليهود — المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التى تحررت تدريجيًّا من روابطها اليهودية سرعان ما فنوا فى الغرب . ولكن يمكن اقتفاء آثارهم من القرن الثالث إلى القرن الرابع بالشرق وخاصة فى فلسطين والجزيرة العربية ما وراء الأردن وسوريا وما بين النهرين . وقد امتص الإسلام بعضهم ، وهو جزئيًّا وريث لهم ، وتحالف البعض الآخر مع أورثوذكسية الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية سامية . وهناك شىء منهم ما زال متشبثاً بالكنيستين الأثيوبية والكلدانية » .

الأناجيل الأربعة

مصادرها — تاريخها

لا تشير أولى كتابات العصر المسيحى إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدًّا . فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط فى منتصف القرن الثانى وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م ، ذلك على حين أن هناك «كثيراً من الكتاب المسيحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثانى بأنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس» . وهذه الملاحظات التى تعرضها «المقدمة إلى الترجمة المسكونية للعهد الجديد» ، المنشورة عام ١٩٧٢ [١] تستحق أن تذكر على الفور ، كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هى نتيجة عمل جماعى تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت .

إن الأناجيل التى أصبحت رسمية فيما بعد ، أى كنسية ، لم تعرف إلا فى عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم فى بداية القرن الثانى . وحسب الترجمة المسكونية ، فقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى إلى هذه الأناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى ، ولكن «يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التى كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهى اعتماداً على الذاكرة» .

وفى تعليقات هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقرأ القارئ «أنه لا توجد ، على أى حال ، أى شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠ م» . وهذه الدعوى تناقض تماماً ماكتب ا . تريكو A. Tricot فى التعليقات على ترجمته للعهد الجديد يقول : «ومنذ وقت مبكر جدًّا ، منذ بداية القرن الثانى ، استقر العرف على استخدام الكلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التى كان القديس جوستين، فى نحو ١٥٠، يسميها

(١) Editions du Cerf et les Bergers et les Mages, Editeurs, Paris.

أيضاً «مذكرات الرسل Memoires des Apôtres» . ومما يؤسف له أن مثل هذه المزاعم تكرر كثيراً بحيث إن عامة الجمهور لا تعرف إلا معلومات خاطئة عن التاريخ الذى تم فيه جمع الأناجيل .

إن الأناجيل لم تكن كلا واحداً إلا بعد أكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح ولم يتم هذا فى وقت مبكر جدًّا كما يقال . والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠ م تقريباً التاريخ الذى اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسى .

أيضاً فإن دعوى جوستين التى تصف كتاب الأناجيل بالرسل لم تعد مقبولة اليوم ، كما سنرى ذلك .

أما فيما يتعلق بتاريخ تحرير الأناجيل فيؤكد ا . تريكو أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠ م : وليس هذا مقبولاً ، ربما باستثناء إنجيل مرقس . إذن فهذا المعلق يحاول ، بعد معلقين آخرين ، أن يقدم محررى الأناجيل على أنهم رسل أو رفاق للمسيح ، وهو بهذا يقدم تواريخ التحرير إلى فترة تقارب كثيراً فترة حياة المسيح . أما فيما يتعلق بيوحنا ، الذى جعله ا . تريكو يعيش إلى ما يقرب عام ١٠٠ م . فقد اعتاد المسيحيون صورته التى تصوره دائماً على قرب شديد من المسيح فى ظروف رسمية ، ولكن من العسير حقًّا التأكيد بأنه كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . إن الرسول يوحنا (مثل متى) ، فى نظر ا . تريكو ومعلقين آخرين ، هو الشاهد الكفء المعترف به على الأمور التى سردها ، على حين لا تتمسك غالبية المعلقين بالفرض القائل بأنه هو الذى حرر الإنجيل الرابع .

وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة «كمذكرات» لرسل أو رفاق المسيح فما هو أصلها إذن . . ؟

يقول ا . كولمان O. Culmann فى كتابه «العهد الجديد»[1] إن المبشرين لم يكونوا إلا «متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى ثبتت التراث الشفهى . فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة فى شكله الشفهى فقط أو بالكاد . ولكن التراث الشفهى قد نقل

---

(١) Les Presses Universitaires de France, 1967.

أساساً أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون - كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة - الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل « وبعد هذا » « وما إن . . » إلخ ، وبالاختصار ، إطار الأناجيل المتوافقة[1] Evangiles Synoptiques كل هذا أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى » .

ويستأنف هذا الكاتب نفسه : « ويجب ملاحظة أن احتياجات التبشير والتعليم والممارسة الدينية هى التى دعت الجماعة الأولى إلى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح . كان الحواريون يوضحون حقائق الإيمان الذى يحضون عليه بسرد أحداث حياة المسيح . وإن مواعظهم هى التى خلفت ظروف تثبيت هذه الروايات . أما أقوال المسيح فقد انتقلت بشكل خاص عبر تعليم الكنيسة الأولى الدينى » .

ولا يذكر المعلقون على الترجمة المسكونية مراحل تكون الأناجيل بشكل آخر وهو ما يلى : تشكل تراث شفهى بتأثير تبشير تلامذة المسيح ومبشرين آخرين ، بقاء هذه العناصر التى نجدها أخيراً فى الأناجيل بفضل التبشير والطقوس وتعاليم المؤمنين ، ثم إمكانية التجسيد المبكر فى شكل مكتوب لبعض تحديدات الإيمان ولبعض أقوال المسيح وروايات آلامه على سبيل المثال ، ثم استعانة المبشرين بهذه الأشكال المكتوبة المتنوعة كاستعانتهم بمعطيات التراث الشفهى حتى يكتبوا نصوصاً « تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن تأمل فى الكتاب المقدس وتصحح الأخطاء وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم . بهذا الشكل جمع ودون المبشرون ، كل بحسب وجهة نظره ، ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية » .

إن هذا الموقف الجماعى المتخذ الذى صدر عن أكثر من مائة مفسر للعهد الجديد كاثوليك وبروتستانت ، يختلف بشكل متميز عن الخط الذى عرفه المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى فى دستوره العقائدى عن التنزيل ، هذا الدستور الذى أعد فيما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٥ . ووجد القارئ أعلاه إشارة أولى إلى وثيقة المجمع هذه التى تتعلق بالعهد

(١) أى أناجيل مرقس ومتى ولوقا .

القديم . لقد استطاع المجمع المسكونى أن يعلن بشأن العهد القديم أن الأسفار التى تكونه « تحتوى على شوائب وشيئاً من البطلان » ولكنه لم يصغ أى تحفظات مثل هذه بالنسبة للأناجيل . بل بالعكس قالت الوثيقة ما يلى :

« لا يغفل على أى إنسان أن من بين كل الكتب المقدسة ، بل حتى كتب العهد الجديد ، كان هناك ما يتمتع عن حق بالامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودرس الكلمة المجسدة أى منقذنا . فدائماً وفى كل مكان حفظت الكنيسة ومازالت الأصل الرسولى للأناجيل الأربعة . والواقع أن ذلك هو الذى دعا إليه الرسل بأمر المسيح ، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم وبتأثير من الوحى الإلهى للروح ، كتابات هى أساس الإيمان ونعنى الإنجيل المربع حسب متى ومرقس ولوقا ويوحنا » .

« إن كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بجزم وثبات دائمين إن هذه الأناجيل الأربعة ، التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد . تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء . . إن الكتاب الدينيين إذن يؤلفون الأناجيل الأربعة بشكل يسمح بإعطائنا دائماً عن المسيح أموراً حقيقية ومخلصة » .

هذا إذن تأكيد بلا أدنى غموض بأمانة نقل الأناجيل لأفعال وأقوال المسيح .

وهنا لا يرى القارئ أى اتفاق بين دعوى المجمع المسكونى هذه ودعاوى الكتاب المذكورين أعلاه ، وعلى وجه خاص تلك التى تقول إنه : « لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهى كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح » (الأب كانينجسر – R.P. Kannengiesser) .

الأناجيل إذن نصوص « تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن فكر ما عن الكتاب المقدس وتعدل من الأخطاء بل ترد بهذا على حجج الخصوم . وبهذا جمع المبشرون وحرروا ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ، ما أعطاهم إياه التراث الشفهى » . (الترجمة المسكونية للعهد الجديد) .

وواضح تماماً أن التصريح المسكونى وهذه المواقف التى اتخذت منذ عهد قريب يضعاننا

بين دعاوى متناقضة . إذ لا يمكن التوفيق بين تصريح الفاتيكان الثانى الذى يقول : إننا نجد فى الأناجيل نقلاً أميناً لأفعال وأقوال المسيح وبين وجود متناقضات فى هذه النصوص وأمور غير معقولة واستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأمور تم التحقق من صحتها .

وعلى العكس من ذلك فإذا نظر القارئ إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعى التراث الشفهى المنتمى إلى مختلف الجماعات ، وإذا نظر إليها القارئ على أنها «كتابات ظرفية أو خصامية» ، فإنه لن يدهش عندما يجد فى الأناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الإنسان فى مثل هذه الظروف . قد يكون جامعو النصوص هؤلاء مخلصين تماماً بالرغم من أنهم يسردون أموراً لا يشكون فى عدم صحتها ، عندما يقدمون لنا روايات تتناقض مع روايات كتاب آخرين أو عندما يقدمون روايات عن حياة المسيح بحسب نظرة مختلفة تماماً عن نظرة الخصم وذلك لأسباب تتعلق بالتنافس الدينى بين جماعة وأخرى .

وقد رأينا أن السياق التاريخى يتفق مع هذه الطريقة الأخيرة فى تصور الأناجيل فالمعطيات التى نملك عن النصوص نفسها تدعم هذا كلية .

إنجيل متى

يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى فى نظام ترتيب أسفار العهد الجديد . وهى مكانة لها ما يبررها فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما : فقد كتب ليثبت أن المسيح «يكمل تاريخ إسرائيل» : يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية وهى الترجمة التى سنستعير منها فقرات كبيرة . ولكى يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود .

ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح [1] . ومتى يجعل المسيح ينتسب إلى إبراهيم عن طريق داود . وسنرى فيما بعد خطأ النص الذى يسكت عليه المعلقون عامة . وأيًّا كان الأمر فقد كانت نية متى واضحة فى أن يعطى بنسب المسيح المهنى العام لكتابه . إن متى

(١) سنناقش التناقض مع شجرة أنساب المسيح بإنجيل لوقا فى فصل خاص .

يتابع نفس هذه الفكرة وذلك بتوضيحه الدائم لموقف المسيح إزاء القانون اليهودى ومبادئه العريضة من صلاة وصوم وزكاة .

فالمسيح يريد أن يوجه تعاليمه أولاً وأولويًّا إلى شعبه . وهو يحدد رسالته بهذه الكيفية . يحدث الحواريين : «إلى طريق الوثنيين ، لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين[1] لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» . (إنجيل متى الإصحاح ١٠ الآيتان ٥ و ٦) . «ولم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى . الإصحاح ١٥ : الآية ٢٤) . وبشكل ثانوى فإن متى يمد فى خاتمة إنجيله إلى كل الأمم تبشير تلاميذ المسيح الأولين الاثنى عشر ، ويجعل المسيح يعطى الأمر التالى : «فاذهبوا وتلمذوا جمع الأمم» ، (متى الإصحاح ٢٨ - الآية ١٩) . ولكن الارتجال يجب أن يتم بأفضلية الذهاب نحو «بيت إسرائيل ، ويقول تريكو عن هذا الإنجيل ما يلى : «تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديًّا لحماً وعظماً وروحاً ، هو يحمل آثار اليهودية ويتسم بسماتها المميزة .

وهذه الاعتبارات وحدها تضع أصل إنجيل متى داخل الجماعة اليهودية المسيحية «التى تحاول» ، على حد قول ا . كولمان ، «أن تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم . إن نقاط الأهمية والنبرة العامة لهذا الإنجيل توحى بوجود وضع متوتر .»

وربما كان هذا النص متصلاً بعوامل ذات صفة سياسية . فالاحتلال الرومانى لفلسطين يحمى بالطبع رغبة البلد المحتل فى وقوع الاستقلال ، ولذا فهو يدعو الله إلى التدخل فى صالح الشعب الذى اختاره من بين كل الشعوب والذى هو ملكه الأكبر الذى يستطيع أن يأتى بعونه المباشر فى شئون البشر مثلما فعل ذلك مرات كثيرة عبر التاريخ .

ما هى شخصية متى . . . ؟ لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه أحد حوارى المسيح . وبرغم ذلك يقدمه . . . ا . تريكو على أنه كذلك فى تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشورة عام ١٩٦٠) يقول : «اسمه متى ، واسمه قبل ذلك ليفى ، وكان عشاراً

---

(١) كان كتاب السامريين الدينى التوراة أو أسفار موسى الخمسة ، وكانوا ينتظرون مجىء المسيح ويخلصون لمعظم تعاليم اليهودية وإن كانوا قد بنوا معبداً ينافس معبد القدس .

أو جابيا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته » . وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيفان . ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا فى عصرنا . وهناك نقطة لا جدال فيها وهى أن هذا الكاتب يهودى ، فمفردات كتابه فلسطينية ، أما التحرير فيونانى . ويقول ا . كولمان إن الكاتب ، أى متى ، يخاطب « أناساً ، وإن كانوا يتحدثون اليونانية ، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية » .

أما بالنسبة للمعلقين على الترجمة المسكونية فإن أصل هذا الإنجيل يبدو كما يلى :

« يقدر غالباً أن إنجيل متى قد كتب بسوريا وربما بأنطاكية (. . .) أو بفينيقيا ، ففى هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود[1] (. . .) وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية الأورثوذكسية الفريزية Pharisiens التى ظهرت بالمجمع الكنسى اليهودى بجامينا فى نحو عام ٨٠ م . فى ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب الذين يؤرخون للإنجيل الأول بما بين عام ٨٠ و٩٠ م أو ربما قبل ذلك بقليل ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل فى هذا الموضوع . ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل متى نفسه ومنها : أن الكاتب معروف بمهنته وأنه متبحر فى الكتب المقدسة والتراث اليهودى وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود ، وإن أغلظ فى خطابه لهم ، كما أنه أستاذ فى فن التدريس وفى إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه . وإنه يتفق جيداً مع ملامح يهودى متأدب اعتنق المسيحية ، وهو معلم حاذق « يخرج من كنزه جديداً وقديماً » ، كما يشير إلى هذا إنجيله نفسه (الإصحاح ١٣ ، الآية ٥٢) . تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطى بكفر ناحوم الذى يطلق عليه مرقس ولوقا اسم ليفى والذى أصبح واحداً من حوارى المسيح الاثنى عشر . . .

ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى قد كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه

---

(١) تساءل البعض عما إذا كانت طائفة متى اليهودية – المسيحية تعيش بالإسكندرية . إن ا . كولمان يذكر هذا الفرض من بين فروض أخرى .

وبين مرقس ولوقا . ولكن روايته تختلف ، وفى نقاط جوهرية كما سنرى فيما يلى : ومع ذلك فقد استخدم متى بشكل واسع إنجيل مرقس الذى لم يكن أحد حوارى المسيح (ا . كولمان) .

يتصرف متى بحرية خطيرة مع النصوص . ويلاحظ ذلك بالنسبة للعهد القديم فيما يتعلق بنسب المسيح التى يضعها فى بداية إنجيله . وقد ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها . واستحالة التصديق تلك هى الصفة التى يستخدمها الأب كانينجسر فى كتابه المشار إليه عندما يتحدث عن رواية قيامة المسيح ، والمقصود بالتحديد هو الجزء الخاص بالحراس . فالكاتب يبرز عدم معقولية حكاية حراس القبر العسكريين «هؤلاء الجنود الوثنيين الذين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الوظيفيين وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشونهم ليقولوا أكاذيب» . ومع ذلك فهو يضيف : «علينا أن نحاذر من السخرية ، ذلك أن نية متى نية جديرة بالإجلال حيث يدخل بطريقته الخاصة إلى مؤلفه المكتوب معطية قديمة من التراث الشفهى . هذا إخراج تمثيلى جدير بفيلم كفيلم «المسيح نجماً سينمائياً – 'Jesus-Christ Superstar» [1]

ولنذكر بأن هذا الحكم على متى صادر عن عالم لاهوتى مبرز ، وهو أستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس .

ويعطى متى مثالاً آخر على خياله الواسع فى سرده للأحداث التى تواكب موت المسيح . يقول :

«وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشققت . والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته[2] ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» .

ليس لهذه الفقرة من إنجيل متى (الإصحاح ٢٧ الآيات من ٥١ إلى ٥٣) مثيل فى الأناجيل الأخرى . ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيين أن تقوم عند موت

---

(١) فيلم أمريكى يشوه تاريخ المسيح .
(٢) قيامة المسيح .

المسيح (أى قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل) وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى (أى غداة السبت حسب نفس المصادر) .

وربما كان إنجيل متى هو الذى يحتوى على هذا القول الذى يتميز بعدم معقولية لا جدال فيها من بين كل الأقوال التى وضعها كتابها على لسان المسيح نفسه . يسرد متى حادثة آية يونس كما يلى : - (الإصحاح ١٢ - الآيات من ٣٨ إلى ٤٠) .

المسيح بين قوم من الكتبة والفريسيين يخاطبونه بهذه الألفاظ : «يا معلم نريد أن نرى منك آية» . فأجابهم المسيح : «جيل شرير وفاسق يطلب آية ! ولا يعطى له آية أخرى إلا آية يونس النبى . لأنه كما كان يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال .»

المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . ولكن متى ، ومعه لوقا ومرقس ، يحددون موت ودفن المسيح بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام (يقول النص اليونانى Treis emeras) . لكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوى إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال (يقول النص اليونانى Treis nuktas) [1] .

المعلقون على الأناجيل يسكتون فى غالب الأحيان أمام هذا الحدث . ومع ذلك فالأب روجى يبرز هذا الأمر غير المعقول ويلاحظ أن المسيح «لم يبق بالقبر» إلا ثلاثة أيام (منها يوم كامل فقط) وليلتين . غير أنه يضيف قائلاً : «التعبير جامد ولا يدل على شىء آخر إلا ثلاثة أيام» ، وأنه لما يحزن حقًّا أن نلاحظ أن المعلقين ينزلون إلى استخدام مثل هذه الحجج التى لا تقول شيئاً إيجابيًّا ، على حين يشفى العقل الإيحاء بأن مثل هذه الكبيرة ربما تكون قد صدرت عن أخطاء أحد نساخ النص .

وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة فإن ما يتميز به إنجيل متى أولاً وقبل كل شىء هو

---

(١) يشير متى مرة ثانية فى إنجيله إلى هذا الحدث ولكن دون تحديد زمنى (١٦ : ١ - ٤) . ونفس الأمر بالنسبة للوقا (١١ : ٢٩ - ٣٢) . أما بالنسبة لمرقس . كما سنرى هذا فيما بعد . فإنه يدعى أن المسيح قد أعلن أنه لن يعطى لهذا الجيل أية آية (مرقس ٨ : ١١ - ١٢) .

أنه إنجيل طائفة يهودية – مسيحية بسبيل مخالفة اليهودية مع الاحتفاظ بخط العهد القديم . ومن وجهة نظر تاريخ اليهودية المسيحية فلإنجيل متى أهمية كبرى .

إنجيل مرقس

إنه أقصر الأناجيل الأربعة . وهو أيضاً أقدمها . ولكنه ليس كتاب أحد الحواريين : هو على أكثر تقدير كتاب حرره تلميذ لأحد الحواريين .

وقد كتب ا . كولمان أنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح . ومع ذلك فهو يشير إلى هؤلاء الذين قد يشكون فى انتساب هذا الإنجيل إلى مرقس «إن متى ولوقا لم يكونا ليستخدما هذا الإنجيل مثلما فعلا لوكانا لا يعرفان أنه مؤسس فعلاً على تعاليم أحد الحواريين» . لكن هذه حجة غير حاسمة . ويذكر ا . كولمان ، لتأكيد التحفظ الذى يدفع به ، الإشارات الكثيرة فى العهد الجديد التى تتحدث عن رجل اسمه «يوحنا ويلقب بمرقس» . ولكن هذه الفقرات لا تذكر مؤلف إنجيل وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى أى مؤلف .

إن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية على أنها عناصر ذات قيمة ومنها ما يلى : «فبحجة أن مرقس هو المبشر الوحيد الذى سرد فى روايته عن آلام المسيح حادثة شاب كان يلبس إزاراً على عريه وترك الإزار وهرب عريان عندما شرع فى الإمساك به ، (مرقس الإصحاح ١٤ – الآيتان ٥١ و٥٢) ، استنتج البعض أن هذا الشاب قد يكون مرقس «التلميذ الأمين الذى يحاول أن يتبع السيد» (من الترجمة المسكونية) . وفى رأى آخرين يستطيع القارئ أن يرى هنا «بسبب هذه الذكرى الشخصية علامة على الصحة وإمضاء مجهول» . . . «يثبت أن صاحبه كان شاهداً معايناً» (ا . كولمان) .

ويرى هذا الكاتب «أن هناك كثيراً من تراكيب الجمل تدعم الفرض القائل إن مؤلف هذا الإنجيل يهودى الأصل» ، ولكن وجود المناحى اللغوية اللاتينية قد يوحى بأنه قد كتب إنجيله من روما . «فهو بالإضافة إلى هذا يتوجه بالخطاب إلى مسيحيين لا يعيشون بفلسطين ويعتنى بشرح التعبيرات الآرامية التى يستخدمها فى حديثه إليهم .»

الواقع ، أن التراث قد أراد أن يرى فى مرقس رفيقاً لبطرس فى روما وذلك اعتماداً على نهاية رسالة بطرس الأولى (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) . ويقال إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم : «جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقس أخى» . «بابل أى ربما روما» . . . ذلك ما نقرأ فى التعليقات على الترجمة المسكونية ، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس بروما هو المبشر . . . ترى أسبب من هذا النوع هو الذى دفع بابيـــاس Papias ، أســـقف هيرا بولس فى نحو عام ١٥٠ م ، إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذى يقول عنه إنه كان «مترجماً لبطرس» وإنه كان أيضاً مساعد بولس . . . ؟

إن إنجيل مرقس ، من هذه الزاوية ، يكون قد تحرر بعد موت بطرس أى على أكثر تقدير بين ٦٥ م و٧٠ م حسب الترجمة المسكونية ، وفى حوالى عام ٧٠ م حسب ا . كولمان .

ويظهر النص نفسه عيباً رئيسيًّا أوليًّا لا جدال فيه : لقد حرر دون أى اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث . فهذا الإنجيل يضع فى بداية روايته (الإصحاح ١ – الآيات من ١٦ إلى ٢٠) حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه قائلاً لهم ببساطة «ستصيرون صيادى الناس» على حين أنهم لا يعرفونه . ويضاف إلى ذلك أن هذا المبشر يبرز افتقاداً كاملاً للمعقولية .

وكما يقول الأب روجى فإن مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالاً . فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية ، ويدعم المعلق ملاحظته بذكر فقرة تسرد تكون الاثنى عشر حواريًّا . تقول هذه الفقرة حرفيًّا :

«ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه . وأقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين . وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس» (مرقس الإصحاح ٣ – الآيات من ١٣ إلى ١٦) .

إن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيلى متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث كما أشرنا أعلاه بمناسبة حكاية آية يونس . وأكثر من ذلك فبمناسبة الآيات التى يعطيها المسيح للبشر فى

أثناء بعثته ، بسرد مرقس حكاية لم تعد قابلة للتصديق . يقول (الإصحاح ٨ – الآيتان ١١ و ١٢) :

« فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح ، وليسوقوه إلى فخ طلبوا منه آية من السماء – تنهد المسيح بعمق وقال : « لماذا يطلب هذا الجيل آية . . . ؟ الحق أقول لكم ، لن يعطى هذا الجيل آية » ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليمضى إلى الضفة الأخرى » .

ولا شك فى أن هذا تأكيد ، من المسيح نفسه ، بأنه ليس فى نيته القيام بأى فعل قد يبدو غير طبيعى . وعليه فالمعلقون على الترجمة المسكونية ، عندما يتعجبون من إعلان لوقا بأن المسيح لن يعطى إلا آية واحدة ، آية يونس (انظر إنجيل متى) يحكمون فى الوقت نفسه بوجود « مفارقة » بين قول مرقس بأنه « لن يكون لهذا الجيل آية » وبين المعجزات التى يقدمها المسيح نفسه كآيات « (إنجيل لوقا الإصحاح ٧ – الآية ٢٢ والإصحاح ١١ – الآية ٢٠) » .

وإذا كان إنجيل مرقس معترفاً به كلية كإنجيل كنسى . فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته (الإصحاح ١٦ – الآيات من ٩ إلى ٢٠) كمؤلف مضاف : وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح .

وهذه الخاتمة غير موجودة فى أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمى Codex Sinaiticus, Codex Vaticanus اللذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع . ويقول ا . كولمان فى هذا الشأن : « أضاف مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضع خاتمة عن ظهور المسيح لا تنتسب إلى مرقص وإنما هى مستخرجة من أناجيل أخرى » . والواقع أن روايات هذه الخاتمة المضافة كثيرة . ففى النصوص نجد تارة رواية طويلة ، وتارة رواية قصيرة (وتحتوى الترجمة المسكونية على الروايتين) ، وتارة الرواية الطويلة مع حاشية ، وتارة أخرى الروايتين معاً .

ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بما يلى : « لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمى (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس فى الجماعة التى ضمنته . ولا متى ولا لوقا ، ولا يوحنا بالأحرى ، قد عرفوا هذا الجزء المفقود . مع ذلك

فقد كانت الفجوة لا تحتمل . وبعد ذلك بكثير وبعد أن جرت بين الأيدى الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا تم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين . ومن السهل الاستدلال على قطع هذه الفزورة بالتفصيل خاتمة مرقس (١٦ – من ٩ إلى ٢٠) . ذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التى كانوا يعالجون بها النوع الأدبى الخاص بالحديث الإنجيلى حتى أعتاب القرن الثانى . »

يا له من اعتراف صريح بوجود التعديلات التى قام بها البشر على النصوص المقدسة !

يا له من اعتراف ذلك الذى تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتى الكبير . . . !

إنجيل لوقا

هو « كاتب حوليات » فى رأى ا . كولمان و « روائى حقيقى » فى نظر الأب كانينجسر . ينبهنا لوقا نفسه فى ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه ، بعد الآخرين الذين أنشئوا قصصاً عن المسيح ، سينشئ بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً هذه القصص ومعلومات الشهود المعاينين – وذلك يعنى أنه ليس واحداً منهم – وبالإضافة إلى المعلومات الآتية من مواعظ الحواريين . المقصود إذن كتاب منهجى ويقدم لوقا له بما يلى : « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأحداث التى وقعت ، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهوداً معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً ، إذ تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به . »

من السطور الأولى يستطيع القارئ أن يميز ما يفصل لوقا عن مرقس ، « هذا الكاتب الغث » الذى تحدثنا عن إنجيله . إن إنجيل لوقا عمل أدبى ، لا يجادل ، كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية ، تخلو من حوشى الكلام .

لوقا أديب وثنى آمن بالمسيحية . واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مباشرة . وكما يشير ا . كولمان فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس ويبرز كلمات المسيح فى مواجهة كفر اليهود وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود ، هذا على حين يقول متى فى

إنجيله إن المسيح طلب إلى حواريه أن يتجنبوا السامريين . وذلك مثال جلى بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين ، يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية ، وهم يفعلون ذلك ولا شك باقتناع مخلص ، فإنهم يعطوننا عن أقوال المسيح الرواية التى تتكيف مع وجهات نظر الطوائف التى ينتمون إليها . كيف يمكن إذن ، أمام أمور جلية كهذه ، إنكار أن الأناجيل ليست «كتابات خصامية» أو «ظرفية» كما قيل أعلاه ؟ إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متى وإنجيل لوقا يأتى ببرهان قاطع فى هذا الشأن .

من هو لوقا ؟ لقد أراد بعضهم التعرف على هويته فى شخصية الطبيب الذى يحمل اسم لوقا والذى يذكره بولس فى بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية أن« بعضهم قد رأى تأكيداً لمهنة الطب التى كان المؤلف يمارسها وذلك بسبب دقة وصف المرض» . وهذا تقدير مبالغ فيه تماماً . فلوقا لا يعطى «أوصافاً» من هذا النوع إذا شئنا الدقة ، «والمفردات التى يستخدمها هى مفردات أى إنسان مثقف فى هذا العصر» . لقد كان هناك لوقا ما قد رافق بولس فى رحلاته . فهل هو نفس الشخص ؟ إن ا . كولمان يعتقد ذلك .

ويمكن تقدير تاريخ إنجيل لوقا بالنظر إلى عوامل عدة . فقد استعان لوقا بإنجيلى مرقس ومتى . وكما تقول الترجمة المسكونية فيبدو أنه قد عايش حصار القدس وتدميرها تحت جيوش تيتوس عام ٧٠ م . وعلى ذلك يكون هذا الإنجيل لاحقاً على ذلك التاريخ . ويحدد النقاد الحاليون غالباً تاريخ تحريره بما بين ٨٠ - ٩٠ م . ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه إلى تاريخ أكثر قدماً .

وتحتوى شتى الروايات فى إنجيل لوقا على اختلافات هامة مع روايات سابقيه . ولقد أعطينا أعلاه لمحة . وتشير إليها الترجمة المسكونية فى صفحة ١٨١ وما يليها .

يذكر ا . كولمان ، فى كتابه «العهد الجديد» صفحة ١٨ ، روايات من إنجيل لوقا لا توجد فى الأناجيل الأخرى ، وليس المقصود نقاطاً تفصيلية .

إن الروايات عن طفولة المسيح فى إنجيل لوقا خاصة بهذا الإنجيل . فمتى يقص بشكل يختلف عن لوقا طفولة المسيح . أما مرقس فإنه لا يقول كلمة عنها .

ويعطى كل من متى ولوقا المسيح أنساباً مختلفة . والتناقض بينهما هام وعدم المعقولية

كبيرة من وجهة النظر العلمية بحيث يجدر تخصيص فصل خاص هنا لهذا الموضوع . وقد يمكن فهم أن متى لأنه يتوجه بخطابه لليهود ، يبدئ شجرة نسب المسيح بإبراهيم ويجعلها تمر بداود ، وإن لوقا ، وهو الوثنى الذى آمن بالمسيحية ، يهتم بأن يمد جذور هذه الشجرة إلى ابعد من ذلك . ولكن القارئ سيرى أن الاثنين يتناقضان ابتداء من داود .

ومن ناحية أخرى ، فإن رسالة المسيح مسرودة بشكل مختلف وفى نقاط كثيرة لدى كل من لوقا ومتى ومرقس .

إن تأسيس سر القربان المقدس ، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين ، يخضع لتنوعات كثيرة من لوقا إلى المبشرين الآخرين . ويلاحظ الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص ٧٥) أن الكلمات التى يسوق بها إنجيل لوقا (الإصحاح ٢٢ - الآيات من ١٩ إلى ٢٤) سر القربان المقدس تختلف عن تلك التى نجدها فى إنجيل متى (الإصحاح ٢٦ – الآيات من ٢٦ إلى ٢٩) وفى إنجيل مرقس (الإصحاح ١٤ – الآيات من ٢٢ إلى ٢٤) ، وهى متطابقة تقريباً فى هذين الأخيرين . «وعلى العكس ، فالصيغة التى ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التى يذكرها بولس» (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثة . الإصحاح ١١ – الآيات من ٢٣ إلى ٢٥) .

إن لوقا ، كما رأينا ، فى إنجيله ، يصدر عن صعود المسيح قولاً يناقض ما يقول فى «أعمال الرسل» التى سلم المتخصصون بأنه كاتبها وهى جزء متمم للعهد الجديد . إنه يحدد فى إنجيله تاريخ صعود المسيح بيوم الفصح ويحدده فى «الأعمال» ببعد ذلك بأربعين يوماً . وإننا لنعرف إلى أى تعليقات غريبة قاد هذا التناقض المفسرين المسيحيين .

غير أن المعلقين الذين تهمهم الموضوعية مضطرون للاعتراف ، مثلما فعل المعلقون على الترجمة المسكونية عموماً ، بأن «الاهتمام الأول (لدى لوقا) ليس هو وصف الأمور فى دقتها المادية . . .» . إن الأب كانينجسر يقارن روايات «أعمال الرسل» . وهى من تأليف هذا اللوقا نفسه ، مع روايات أمور مماثلة عند بولس عن المسيح بعد قيامته ويقدم الرأى التالى عن لوقا : «لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافاً فى الحس وأكثرهم ميلاً للأدب ، إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائى الحقيقى» .

إنجيل يوحنا

يختلف إنجيل يوحنا جيداً عن الأناجيل الثلاثة الأخرى ، إلى درجة أن الأب روجى فى كتابه « مقدمة إلى الإنجيل » ، وبعد أن علق على الأناجيل الأخرى ، يعطى صورة معبرة عن هذا الإنجيل الرابع : « إنه عالم آخر » . والواقع أنه كتاب مختلف تماماً : فهو يختلف فى ترتيب وفى اختيار الموضوعات والروايات والخطب ، وبه اختلافات أسلوبية وجغرافية وأخرى خاصة بالتعاقب الزمنى للأحداث ، بل إنه يحتوى على اختلاف فى الآفاق اللاهوتية (ا . كولمان) . إن أقوال المسيح تساق بشكل مختلف لدى كل من يوحنا والمبشرين الآخرين : وينوه الأب روجى ، فى هذا الشأن ، إلى أنه على حين تسوق الأناجيل الثلاثة المتوافقة أقوال المسيح فى أسلوب « قارع ، يقارب كثيراً الأسلوب الشفهى » فإن كل شىء يخضع عند يوحنا إلى التأمل ، إلى درجة « أننا نستطيع أن نتساءل أحياناً ما إذا كان المسيح هو الذى مازال يتحدث أم أن أقواله تمتط بشكل غير محسوس بتأثير تأملات هذا المبشر . »

من هو المؤلف ؟ المسألة موضع نقاش كثير ، وقد طرحت آراء شديدة التنوع فى هذا الشأن .

وينتمى ا . تريكو والأب روجى إلى هؤلاء الذين لا يغشاهم أى شك : فإنجيل يوحنا فى نظرهما هو كتاب لشاهد معاين ، والمؤلف هو يوحنا بن زبيدى وأخو جاك Jacques ، هو المبشر الذى تعرف عنه تفاصيل كثيرة وتعرض فى الكتب المبسطة المعممة . وتصوره الإيقونات الشعبية واقفاً بجوار المسيح مثلما كان عند العشاء الأخير قبل الآلام . فمن ذا الذى يتخيل أن إنجيل يوحنا ليس من مؤلف يوحنا الحوارى ذى الصورة المنتشرة إلى هذا الحد لدى العامة ؟

إن التحرير المتأخر جداً لهذا الإنجيل الرابع لا يشكل حجة قاطعة ضد هذا الموقف الذى يتخذه البعض ، المعتقد أن الصيغة النهائية له قد حررت فى نحو نهاية القرن الأول .

إن تحديد تاريخها بستين عاماً بعد المسيح قد يكون أمراً يتفق مع وجود حوارى كان صغير السن فى عصر المسيح وعاش ما يقارب قرناً من الزمان .

إن الأب كانينجسر ، فى دراسته عن القيامة ، يصل إلى هذه النتيجة وهى أنه ليس

هناك أى كاتب للعهد الجديد ، سوى بولس ، يستطيع أن ينسب لنفسه صفة كونه شاهداً معايناً لقيامة المسيح . وبرغم ذلك فيوحنا يقص ظهور المسيح بعد قيامته للحواريين وكان هو واحداً منهم وكانوا مجتمعين باستثناء توما (الإصحاح ٢٠ – الآيات من ١٩ إلى ٢٤) ثم ظهوره مرة أخرى بعد ثمانية أيام للحواريين بكاملهم .

إن ا . كولمان لا يتخذ موقفاً خاصًا بهذا الموضوع فى كتابه «العهد الجديد» .

كما أن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس . تحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحوارى وإن كان ذلك احتمالا غير مستبعد برغم كل شىء . ولكن كل شىء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حاليًا ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد : «فيحتمل أن الإنجيل ، بشكله الذى نملكه اليوم ، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الإصحاح ٢١ كما أضافوا ولاشك بعض الحواشى (مثل ٤ ، ٢ وربما أيضاً ٤ ، ١ ؛ ٤ ، ٤٤ ؛ ٧ ، ٣٧ ب ؛ ١١ ، ٢ ؛ ١٩ ، ٣٥) . أما فيما يختص بالمرأة الزانية (الإصحاح ٧ ، ٥٣ إلى ٨ ، ١١) فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل ، ألحق فيما بعد (وإن انتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسيًا)» . إن الفقرة من ١٩ ، ٣٥ تبدو وكأنها «إمضاء لشاهد معاين» (ا . كولمان) وهو الإمضاء الوحيد الصريح فى كل إنجيل يوحنا ، ولكن المعلقين يعتقدون أنها فقرة مضافة ولا شك .

ويعتقد ا . كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل : مثل الإصحاح ٢١ ، ويعتقد أنه من عمل «أحد التلاميذ وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل» .

ودون ذكر الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون ، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين والتى أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع ، تشير ، هى وحدها ، إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب .

لقد كانت القيمة التاريخية لروايات يوحنا موضع نزاع كثير . فالأمور التى تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة . ولكن ا . كولمان يعللها : فهو يعترف بأن ليوحنا مرامى لاهوتية تختلف عن مرامى المبشرين الآخرين . وهذه الأغراض هى التى «تقود اختيارات

روايات أقـوال المسـيح Logia ، كما تقود الطريقة التى نقلت بها هذه الأقوال . وهكذا كثيراً ما يمط الكاتب السطور ويضع على لسان المسيح ما أنزله عليه الروح القدس نفسه » . ذلك هو سبب عدم الاتفاق مع الأناجيل الأخرى فى رأى هذا المفسر .

ولا شك أنه من المعقول أن يوحنا ، وقد شرع فى الكتابة بعد المبشرين الآخرين ، كان يستطيع أن يختار بعض الروايات التى تصوردعاواه بشكل أوضح ، وإننا لا يجب أن ندهش عندما لا نجد فى إنجيل يوحنا كل ما تحتوى عليه الروايات الأخرى . والترجمة المسكونية تذكر عدداً معيناً من حالات من هذا النوع (ص . ٢٨٢) . ولكن أكثر ما يثير الدهشة هو بعض الثغرات . فبعضها معقول بالكاد ، كتلك التى تخص رواية تأسيس القربان المقدس . إذ كيف يمكن تصور أن يوحنا ، وهوالمبشر المفكر المتأمل بكل معنى الكلمة ، لا يتحدث عن الحدث الرئيسى فى المسيحية والذى سيصبح ركناً من أهم أركان الطقوس الكنسية أى القداس ؟ الحادث فعلاً أن يوحنا يكتفى فقط ، فى سرده لهذا العشاء الذى يسبق الآلام ، بوصف غسل أقدام الحواريين والتنبؤ بخيانة يهوذا الأسخريوطى ، وبإنكار بطرس .

وعلى العكس من هذا أيضاً ففى إنجيل يوحنا روايات غير واردة فى الأناجيل الأخرى ، والترجمة المسكونية تشير إليها ص ٢٨٣ . ورب قائل لأن الثلاثة الأخر لم يروا فى بعض الأحداث الأهمية التى ميزها يوحنا . ولكن كيف لا ندهش عندما نجد فى إنجيل يوحنا رواية عن ظهور المسيح لتلامذته على بحيرة طبرية بعد أن قام من الأموات (يوحنا الإصحاح ٢١ : الآيات من ١ إلى ١٤) وليست هذه الرواية إلا نقلا مع كثير من التفاصيل الإضافية لمعجزة الصيد التى حكاها لوقا (الإصحاح ٥ : الآيات من ١ إلى ١١) كحادثة وقعت فى حياة المسيح . ويشير لوقا فى روايته إلى وجود يوحنا الرسول والذى هو المبشر كما يقول التراث . إن انتماء هذه الرواية من إنجيل يوحنا إلى الإصحاح ٢١ – الذى يتفق الجميع على أنه إضافة لاحقة – يسهل علينا تصور أن ذكر اسم يوحنا فى رواية لوقا قد دفع المؤلف إلى ضم اسم يوحنا بشكل مصطنع إلى الإنجيل الرابع : ولهذا الغرض لم يتردد معدل النص الإنجيلى فى تحويل حدث وقع فى حياة المسيح إلى رواية حدثت بعد حياته !

هناك أيضاً اختلافات على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأناجيل

الأخرى ، وهو اختلاف خاص بالفترة الزمنية لبعثة المسيح . إذ يحددها مرقس ومتى ولوقا بعام واحد . أما بالنسبة ليوحنا فهى تمتد على أكثر من عامين . ويشير أ.كولمان إلى هذا الأمر . وأما الترجمة المسكونية فهى تصرح عن هذا الموضوع بما يلى :

« على حين تحدثنا الأناجيل الثلاثة المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل تتبعها مسيرة نحو الناصرة Judee تمتد قليلاأو قد تقصر ثم يليها أخيراً المكوث فترة قصيرة بالقدس فإن يوحنا ، على العكس ، يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلى أخرى ويتحدث عن مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة Judee وبالقدس على وجه خاص (١ – ١٩ : ٥١ ؛ ٢ – ١٣ إلى ٣ – ٣٦ ؛ ٥ – ١ : ٤٧ ؛ ١٤ – ٢٠ : ٣١) . ويشير إلى احتفالات فصحية متعددة (٢ – ١٣ ؛ ٥ – ١ ؛ ٦ – ٤ ؛ ١١ – ٥٥) وهو بهذا يوحى بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين » .

إذن فمن يجب أن يصدق ؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا ؟

مصادر الأناجيل

إن اللمحة العامة التى أعطيناها عن الأناجيل والتى استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص تقود إلى اكتساب مفهوم أدب « مفكك تفتقر خطته إلى الاستمرار » و « تبدو تناقضاته غير قابلة للحل » ، كما تقول ألفاظ الحكم الذى أصدره المعلقون على الترجمة المسكونية للكتاب المقدس الذين يهمنا الرجوع إلى سلطتهم ، حيث إن التقديرات فى هذا الموضوع تؤدى إلى نتائج بالغة الخطورة . ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن التاريخ الدينى المعاصر لميلاد الأناجيل تستطيع أن توضح بعض سمات هذا الأدب الذى يبلبل القارئ المتأمل . ولكن يجب الذهاب إلى أبعد من هذا ، كما يجب البحث عما يمكن أن تعلمنا به الدراسات المنشورة فى العصر الحديث عن المصادر التى نَهَلَ منها المبشرون لتحرير نصوصهم ، كما يهم أيضاً دراسة ما إذا كان تاريخ النصوص بعد استقرارها قادراً على شرح بعض الصفات التى تقدمها فى عصرنا .

لقد تصدى آباء الكنيسة فى عصرهم لمشكلة المصادر بطريقة ساذجة . ففى القرون

الأولى من العصر المسيحى لم يكن المصدر إلا الإنجيل الذى تضعه المخطوطات الكاملة على رأسها أى إنجيل متى فقط . وكانت مشكلة المصادر تطرح إزاء إنجيلى مرقس ولوقا حيث كان إنجيل يوحنا يشكل حالة منفصلة . كان القديس أوغسطين يعد إنجيل مرقس . وهو الإنجيل الثانى فى الترتيب التقليدى لتقديم الأناجيل . مستلهما من إنجيل متى وإنه قد لخصه ، وإن إنجيل لوقا ، وهو الثالث فى ترتيب المخطوطات المؤلفة ، قد استعان بمعطيات كل من الأول والثانى : وتوحى بذلك فاتحته التى تحدثنا عنها أعلاه .

كان مفسرو هذا العصر يستطيعون مثلنا أن يقيموا درجة اتفاق النصوص وأن يجدوا عدداً كبيراً من الآيات المشتركة بين اثنين أو ثلاثة من مخطوطات الأناجيل المتوافقة . وفى عصرنا يحسب المعلقون على الترجمة المسكونية عدد هذه الآيات تقريباً كما يلى :

آيات مشتركة بين ثلاثة أناجيل : متى ومرقس ولوقا ٣٣٠

آيات مشتركة بين إنجيلى مرقس ومتى ١٧٨

آيات مشتركة بين إنجيلى مرقس ولوقا ١٠٠

آيات مشتركة بين إنجيلى متى ولوقا ٢٣٠

هذا على حين أن الآيات الخاصة بكل من المبشرين الثلاثة الأولين هى : ٣٣٠ آية بالنسبة لمتى ، و٥٣ آية بالنسبة لمرقس و٥٠٠ آية بالنسبة للوقا .

ومن عصر آباء الكنيسة وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، مر ألف وخمسمائة عام دون إثارة أى مشكلة جديدة ، مهما كانت ، عن مصادر المبشرين : كان هناك امتثال للتراث . وفى العصر الحديث فقط وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية مع الاعتماد على المعلومات التى وجدها عند الآخرين . عندئذ علق الباحثون أهمية كبيرة على جمع مواد الرواية فى التراث الشفهى للطوائف الأصلية من ناحية ، وفى مصدر مكتوب أرامى مشترك لم يعثر عليه من ناحية أخرى . وقد كان يمكن لهذا المصدر المكتوب أن يشكل كتلة صماء أو أن يتكون من مقتطفات كثيرة لروايات شتى وربما تكون قد خدمت كل مبشر فى تشييد نصه الأصلى .

ومنذ قرن تقريباً ، قادت أبحاث أكثر تعمقاً إلى نظريات أكثر دقة ازدادت تعقداً بمرور

الزمن . وأول هذه النظريات الحديثة هى النظرية المسماة « بمصدرى هولتزمان » Holtzmann (١٨٦٣) . وحسب هـــــذه النظرية . كما يحدد ا . كولمان والترجمة المسكونية . فإن متى ولوقا قد استلهما مرقس من ناحية ، ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى . يضاف إلى هذا أن كلا من المبشرين الأولين كان يملك تحت حوزته مصدراً خاصًا . وقد أدى هذا إلى الرسم البيانى التالى :

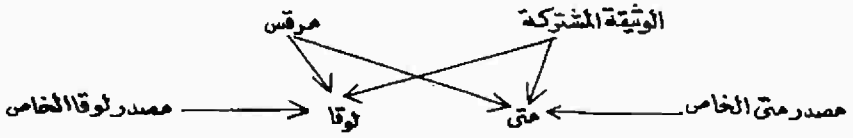

وينتقد ا . كولمان هذا البيان فيما يتعلق بالنقاط التالية :

١ - ليس مؤلف مرقس الذى استخدمه لوقا ومتى هو إنجيل مرقس ، إنما هو مؤلف سابق على مرقس .

٢- لا يعطى هذا أهمية كافية للتراث الشفهى ، ويبدو أنه رئيسى لأنه - وهو وحده - قد حفظ طيلة ثلاثين أو أربعين سنة أقوال المسيح والروايات الخاصة ببعثته . وحيث إن كل مبشر لم يكن إلا المتحدث باسم الطائفة المسيحية التى ثبتت التراث الشفهى .

بهذا نصل إلى فكرة أن الأناجيل ، كما هى فى حوزتنا اليوم ، قد أعطت صدى لما كانت الطوائف المسيحية البدائية تعرف عن حياة ورسالة المسيح ولمعتقداتهم ومفاهيمهم اللاهوتية التى تحدث المبشرون باسمها .

أما أحدث أبحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الأناجيل فقد أوضحت وجود عمد أكثر تعقيداً من تشكل النصوص . إذ تنوه طبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة . Synopse des quatre Evangiles ، وهى للآبين بينوا وبومار R.R.P.P. Benoit et Boismard ، الأستاذين . بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢ - ١٩٧٣) ، تنوه بشكل خاص إلى تطور النصوص على مراحل متعددة بالتوازى مع تطور للتراث . ويجر هذا إلى نتائج يعرضها الأب بينوا بهذه الألفاظ فى تقديمه للجزء الذى قام به الأب بومار من الكتاب المشار إليه .

يقول : « (. . . .) إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلاً . وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره لم تقل مثلما نقرأ اليوم وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات . إن هؤلاء الذين لم يعتادوا هذا النوع من البحث التاريخى يجدون هنا مصدراً ممكناً للاندهاش بل حتى للاستنكار . » .

إن هذه اللمسات وتلك التعديلات ، التى مارسها هؤلاء الذين نقلوا إلينا النصوص قد أنجزت بطريقة يعطينا الأب بومار عنها رسماً بيانيًا شديد التعقيد هو بسط للنظرية المسماة بنظرية المصدرين . وقد وضع هذا الرسم بعد عمل من الفحص ومن مقارنة النصوص يستحيل تلخيصه . وإذا أراد القارئ المهتم الحصول على تفاصيل أكثر فعليه أن يرجع إلى الكتاب الأصلى وقد نشر بباريس بدار نشر Editions du Cerf

هناك أربع وثائق أساسية هى ا ، ب ، ج ، ق تمثل المصادر الأصلية للأناجيل (انظر الرسم البيانى العام) .

الوثيقة ا وثيقة نبعت من أوساط يهودية - مسيحية وقد ألهمت متى ومرقس .

الوثيقة ب هى إعادة تفسير للوثيقة ا ، استخدمتها الكنائس الوثنية - المسيحية : وقد ألهمت كل المبشرين ماعدا متى .

الوثيقة ج ألهمت مرقساً ولوقا ويوحنا .

الوثيقة ق تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا ، إنها « الوثيقة المشتركة » فى نظرية المصدرين المشار إليها أعلاه .

لم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التى فى حوزتنا . فبينها وبين التحرير النهائى توجد تآليف وسيطة خاصة بكل إنجيل [1] وتلك الوثائق الأربعة الوسيطة هى التى أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل الأربعة وفى نفس الوقت ألهمت الصيغ النهائية المناظرة والمطابقة لصيغ أناجيل أخرى . ولابد من الرجوع إلى الرسم البيانى العام حتى

(١) تختلف أسماء هذه الصيغ فى اللغة الفرنسية . وحتى نكون أكثر وضوحاً فإننا نعطيها اسما مماثلا هو : « وسيط » .

يمكن إدراك الشبكات المعقدة التى يضعها المؤلف .

إن نتائج هذا البحث الخاص بالكتاب المقدس على أهمية بالغة . فهى تثبت أن نصوص الأناجيل ، التى لها تاريخ (وسيعالج هذا فى فصل لاحق) ، تتمتع أيضاً ، حسب تعبير الأب بومار ، « بتاريخ ما قبل التاريخ Pre-Histoire » ، أى أنها قد خضعت قبل ظهور الصيغ النهائية ، لتعديلات وذلك فى مرحلة الوثائق الوسيطة . بهذا يتضح ، على سبيل المثال ، أن حكاية معروفة جيداًوقعت فى حياة المسيح ، حكاية معجزة الصيد ، تقدم ، كما رأينا فى إنجيل لوقا ، باعتبارها حدثاً وقع فى حياة المسيح ، على حين يقدمها يوحنا كحادثة من حوادث ظهوره بعد قيامته .

م . أ . بومار

الأناجيل الأربعة المتوافقة

الرسم البيانى العام بتصرف

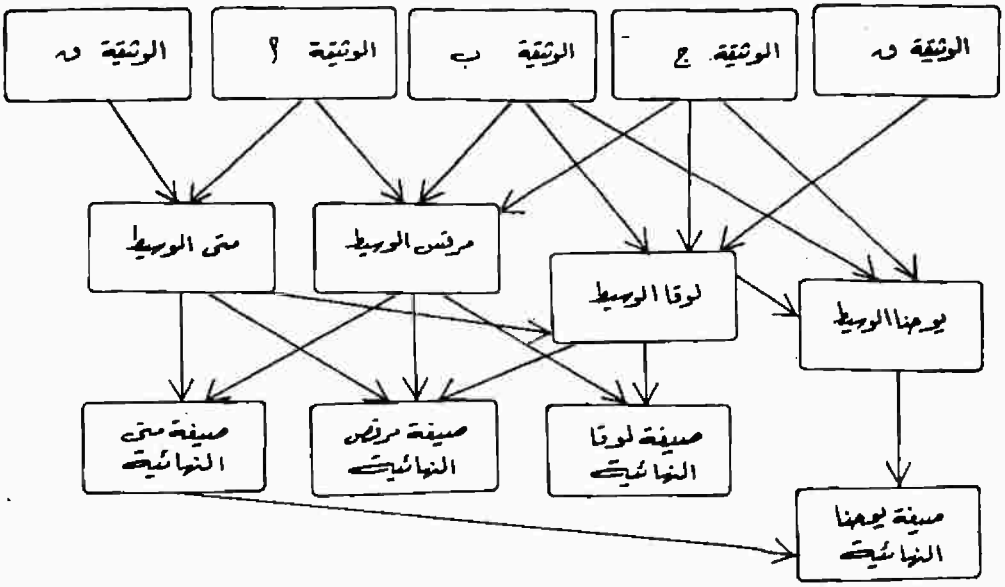

– الوثيقة ا ، ب ، ج ، ق : الوثيقة الأساسية التى استخدمت فى الصياغة النهائية .

– الوسيط : الصياغة الوسيطة .

ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الإنجيل . والأب بينوا يتوجه لقارئ الإنجيل ويحذره من هذا ، ويقدم تعويضاً قائلاً . « إذا كان عليه أن يتخلى فى أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر فإنه يسمع صوت الكنيسة ويركن إليها ركونه لمفسر خول إليه أن يفسر السيد الذى يحدثنا اليوم فى مجده بعد أن تحدث على أرضنا » .

كيف يمكن التوفيق بين هذه الملاحظة الصريحة عن عدم صحة بعض النصوص وبين عبارة الدستور العقائدى عن التنزيل الإلهى التى صوت عليها مجمع الفاتيكان الثانى . وهذا يؤكد لنا ، على العكس ، بأمانة نقل أقوال المسيح . تقول هذه العبارة : « هذه الأناجيل الأربعة التى تؤكد (الكنيسة) تاريخيتها دون تردد ، تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح ، ابن الله ، طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء » .

ويظهر بوضوح تام أن عمل مدرسة الكتاب المقدس بالقدس يأتى إلى دعاوى المجمع بتكذيب صارم .

تاريخ النصوص

يخطئ من يعتقد أن الأناجيل شكلت ، بمجرد تحريرها ، الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة وأنه قد اعتمد عليها مثلما كان يعتمد على العهد القديم . لقد كانت السلطة السائدة فى ذلك الوقت للتراث الشفهى الذى كان ينقل أقوال المسيح وتعاليم الحواريين . إن أول الكتابات المتداولة وأول ما ساد منها قبل الأناجيل هو رسائل بولس : ألم تكن قد كتبت قبل ذلك بعشرات من السنوات ؟

ولقد رأينا أنه قبل عام ١٤٠ م لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية ، على عكس مما يكتب بعض المعلقين حتى اليوم . بل يجب انتظار عام ١٧٠ م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنسيًّا .

فى تلك العصور المسيحية الأولى ، كان هناك تداول كثير من الكتابات عن المسيح ،

غير أنه لم يُعْتدَّ بها ككتابات جديرة بصفة الصحة ، كما أوصت الكنيسة بإخفائها ومن هنا جاء اسم الأناجيل المـزورة Apocryphes . ولقد بقى من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها «كانت تتمتع بالتقدير العام» ، على ما تقول لنا الترجمة المسكونية ، ومن هذه رسالة برنـابا Didache de Barnabe ولكـن هنـاك نصوص أخرى قد «استبعدت بشكل أكثر عنفاً» ولم يتبق منها إلا بعض أجزاء . ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين . برغم ذلك فهناك من المؤلفات ، مثل أناجيل الناصريين وأناجيل العبرانيين وأناجيل المصريين التى عرفت بفضل تنويهات آباء الكنيسة ما كان يشبه عن قربٍ الأناجيل المعترف بها كنسيًّا . ونفس الأمر ينطبق على إنجيل توما وإنجيل برنابا .

وبعض هذه الكتابات «المزورة» يحتوى على تفاصيل خرافية أنتجها الخيال الشعبى . وعلى ذلك فبعض مؤلفى دراسات عن الأناجيل المزورة يذكرون برضى شديد الوضوح مقاطع من هذه التفاصيل تدعو حقًّا للسخرية . لكن من الممكن أن نجد مثل هذه الفقرات فى كل الأناجيل . ولنذكر فقط الوصف الوهمى للأحداث التى يدعى متى أنها قد وقعت عند موت المسيح . يمكن إذن أن نجد فقرات تفتقر إلى الجدية فى كل كتابات العصور الأولى للمسيحية : وعلى المعلقين أن يتحلوا شرف الاعتراف بهذا .

لقد قادت وفرة الروايات عن المسيح الكنيسة فى مرحلة انتظامها إلى إجراء استبعاد لكثير من المؤلفات . وربما كان ما حذف مائة إنجيل ! لقد احتفظ فقط بأربعة من الأناجيل لتدخل فى قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتى تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها كنسيًّا .

وفى منتصف القرن الثانى ، دفع مارسيون Marcion بصرامة السلطات الكنسية إلى اتخاذ موقف . وكان خصماً لدوداً لليهود وكان يرفض كل العهد القديم ويرفض من الكتابات اللاحقة على المسيح ماكان يبدو منها على ارتباط وثيق بالعهد القديم أو التراث اليهودى – المسيحى . ولم يعترف مارسيون إلا بإنجيل لوقا لأنه ، فى رأيه ، التحدث باسم بولس ، وبكتابات بولس .

وحكمت الكنيسة على مارسيون بالهرطقة ووضعت فى القائمة الرسمية كل رسائل بولس ولكن مع الأناجيل الأخرى لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا وألحقت به أيضاً بعض الكتب الأخرى مثل «أعمال الرسل» . ومع ذلك فالقائمة الرسمية تنوعت مع الزمن فى هذه القرون الأولى من العصر المسيحى . وهناك مؤلفات اعتبرت فيما بعد معدومة القيمة (المزورة) كانت تحتل مكاناً مؤقتاً فى هذه القائمة على حين كانت هناك كتابات أخرى ، محتواة فى القائمة الحالية للعهد الجديد ، مستبعدة فى ذلك العصر . لقد دام التردد حتى مجمعين : هيبون فى ٣٩٣ م ، وقرطاجنة فى ٣٩٧ م . ولكن الأناجيل الأربعة كانت دائماً موجودة بهذه القائمة .

ولا نستطيع إلا أن نأسف، مع الأب بومار ،على اختفاء (كم) ضخم من الكتب التى اعتبرتها الكنيسة مزورة ، فقد كان لها أهمية تاريخية . الواقع أن الأب بومار يعطيها مكاناً فى كتابه «الأناجيل الأربعة المتوافقة» إلى جانب الأناجيل الرسمية . ويلاحظ أن هذه الكتب كانت موجودة بالمكتبات حتى نهاية القرن الرابع .

لقد شهد هذا القرن عصراً من التنظيم الجاد . وإلى هذا العصر ترجع أقدم المخطوطات الكاملة للأناجيل . فمن الوثائق السابقة على هذا العصر ، برديات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث ، وبردية أخرى قد ترجع إلى القرن الثانى . ولكنها لا تنقل لنا إلا أجزاء منفصلة . أما أقدم مخطوطتين من الرق فهما مخطوطتان يونانيتان من القرن الرابع . وهما ما يعرفان بالـ Codex Vaticanus ومكان اكتشافهما مجهول وهما محفوظتان بمكتبة الفاتيكان و بالـ Codex Sinaiticus وقد اكتشفت بجبل سيناء وهى محفوظة بالمتحف البريطانى . وتحتوى الوثيقة الثانية على مؤلفين مزورين .

وكما تقول الترجمة المسكونية ففى العالم مائتان وخمسون مخطوطة رقية أخرى معروفة ، وآخرها يرجع إلى القرن الحادى عشر . ولكن «كل نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست متطابقة . بل على العكس فيمكن للقارئ أن يميز فيما بينها فروقاً قد تختلف فى الأهمية ولكن عددها على أى حال كبير . وبعض هذه الاختلافات لا تخص إلا تفاصيل فى النحو أو المفردات أو ترتيب الكلمات . ولكن فى مؤلفات أخرى يلاحظ بين المخطوطات اختلافات

تمس معانى فقرات بأكملها . » وإذا أردنا أن ندرك هذه الاختلافات النصية فيكفى الرجوع إلى العهـــد الجديد اليونانى Novum Testamentum Graece [1] فهـــذا الكتاب يحتوى على نص يونانى يقال له « متوسط » وهو نص مركب يشتمل فى حواشيه على كل النقاط المختلفة التى يجدها القارئ فى مختلف النسخ .

إن صحة أى نص ، حتى أكثر النصوص احتراماً ، قابلة دائماً للنقاش . إن المخطوطة المعروفة باسم Codex Vaticanus تعطى مثـــالاً على ذلك . فطبعتـها المطابقة للأصل التى أعادتها الفاتيكان عام ١٩٦٥ تحتوى على تنبيه من نفس المصدر يخبرنا « بأنه بعد مرور قرون عدة على النسخة » (القرن العاشر أو الحادى عشر كما يعتقد) حبر أحد النساخ كل الحروف ما عدا التى رأى أنها خطأ . » وهناك عبارات من النص ما زالت فيه الحروف الأولى ، وهى بنية اللون ، ترى بشكل واضح ، وتصر على البقاء وتتباين مع بقية النص الذى كتب بحبر بنى غامق . ولا شىء يسمح بتأكيد أن ترميم النص كان أميناً . وبالإضافة إلى ذلك فالتنبيه يحدد ما يلى : « لم نتمكن حتى الآن من أن نميز بشكل نهائى مختلف الأيدى التى صححت المخطوطة ووضعت عليه الحواشى عبر القرون ، ولا شك أن عدداً من التصحيحات قد عمل ساعة تحبير النص . » ومع ذلك فكل كتب التعليم الدينى تقدم هذه المخطوطة على أنها نسخة من القرن الرابع . ولابد من الذهاب إلى مصادر الفاتيكان حتى ندرك أن بعض الأيدى قد حرفت النص بعد ذلك بقرون كثيرة .

وقد يجيب أحد عن هذا بأن هناك نصوصا أخرى تنفع فى المقارنة . ولكن كيف يختار القارئ بين نقاط مختلفة تحرف المعنى ؟ المعروف جيداً أن تصحيحاً قديماً جدًّا لأحد النساخ يؤدى إلى إعادة نهائية لنص جرى عليه التصحيح بهذا الشكل . وسندرك تماماً فيما بعد أن كلمة واحدة فى إنجيل يوحنا خاصة بالـ Paraclet تغير جذريًّا معنى الفقرة وتغير رأساً على عقب دلالتها من وجهة النظر اللاهوتية .

وهذا ما كتب ا . كولمان بالنسبة للتفاصيل المختلفة فى كتابه « العهد الجديد » يقول :

« إنها قد تنتج عن أخطاء غير إرادية : إما أن يكون الناسخ قد أسقط كلمة وإما أن

---

(١) Nestle et Aland, edition 1971

يكون قد كتبها مرتين متتاليتين وإما أن يكون قد حذف سهواً جزءاً من الجملة كان موضوعاً فى النص المطلوب نسخه بين كلمتين متماثلتين . وقد يكون المعنى به أيضاً تصحيحات إرادية : أما الناسخ فقد سمح لنفسه بتصحيح النص حسب أفكاره الشخصية، وإما لأنه يبحث عن التوفيق بين النص ونص آخر مواز حتى يقلل الاختلافات بينهما بشكل قد يقل أو يزيد مهارة . وبتدرج انفصال كتابات العهد الجديد عن بقية الأدب المسيحى البدائى لينظر إليها ككتاب مقدس ازداد تردد النساخ فى إجراء مثل هذه التصحيحات التى كان يقوم بها من سلفهم : وبهذا اعتقدوا أنهم ينقلون النص الصحيح وبهذا ثبتوا النقاط التفصيلية المختلفة . أحياناً أخرى يكتب الناسخ تعليقاً على هامش النص ليشرح عبارة مبهمة . ويأتى الناسخ التالى ويظن أن العبارة المكتوبة على هامش النص قد سقطت عند ناسخ آخر ويرى ضرورياً إدخال التعليق الهامشى على النص . وبهذا ، أحياناً ، يصبح النص الجديد المنقول أكثر عموضاً » .

إن نساخ بعض المخطوطات يسمحون لأنفسهم بحريات كبيرة مع النص . فهكذا الأمر بالنسبة لناسخ أحد أكثر النصوص إجلالا بعد النصين المذكورين أعلاه وهو الـ Codex Bezae Cantabrigiensis الذى يرجع إلى القرن السادس . فقد لاحظ الناسخ ، ولاشك ، الفرق بين سلسلة نسب المسيح فى كل من إنجيلى لوقا ومتى ولذلك وضع فى نسخته لإنجيل لوقا نسب المسيح عند متى . ولما كانت هذه الأخيرة تحتوى على كم من الأسماء أقل من الأولى فإنه قام بتضخيمها بأسماء إضافية (دون أن يقيم توازناً مع ذلك) .

والسؤال هو : هل الترجمات اللاتينية ، مثل Vulgate للقديس يرونيمس (القرن الرابع) والترجمة القديمة Vetus Itala والترجمات السيريانية والقبطية هل هى أكثر أمانة من المخطوطات اليونانية الأساسية ؟ فربما تكون قد كتبت اعتماداً على مخطوطات أكثر قدماً من تلك التى ذكرنا وغير موجودة فى عصرنا . لا أحد يعلم شيئاً عن هذا .

لقد نجح المتخصصون فى تصنيف مجموع هذه النصوص فى عائلات تجمع عدداً من الصفات المشتركة . وهكذا يمكن ، حسب كولان ، تعريف ما يلى :

– نص يقال له سورى ، ربما انتهت إلى تشكيله أقدم وأغلب النصوص اليونانية ، وقد انتشر هذا النص انتشاراً واسعاً فى أوربا ابتداء من القرن السادس عشر بفضل آلة الطباعة وهو أسوأ النصوص فى رأى المتخصصين .

– نص يقال له غربى بنسخه اللاتينية القديمة وما يعرف بالـ Codex Bezae Cantabrigiensis وهو نص يونانى ولاتينى فى آنٍ واحد (ويتسم هذا النص فى رأى الترجمة المسكونية ، باتجاه صريح نحو التعليل وعدم الدقة والإطناب والتوفيق) .

– نص يقال له محايد ينتمى إليه الـ Codex Vaticanus والـ Codex Sinaiticus وهو أكثر نقاء ، وهذا النص هو الذى تعتمد عليه اليوم طبعات العهد الجديد برغم أنه هو أيضاً يحتوى على بعض العيوب (الترجمة المسكونية) .

إن كل ما يستطيع نقد النصوص الحديث أن يقدمه لنا من وجهة النظر هذه هو محاولته لإعادة بناء «نص يتمتع بأكبر الفرص الممكنة فى أن يقترب من النص الأصلى . وعلى أى حال فلا مجال مطلقاً للأمل فى الوصول إلى النص الأصلى نفسه» (الترجمة المسكونية) .

الأناجيل والعلم الحديث
شجرتا نسب المسيح

تحتوى الأناجيل على قليل جدًّا من الفقرات التى تستطيع أن تقود إلى مقارنة مع المعطيات العلمية الحديثة .

وقبل كل شيء فكثير من روايات الأناجيل التى لها صلة بمعجزات ما لا تسمح مطلقاً بأى تعليق علمى . وهذه المعجزات تتعلق بأشخاص : مثل شفاء المرضى (المسوسون والعميان والمشلولون والمصابون بالبرص ، وبعث إلعازر) كما تتعلق بظاهرات مادية صرف تقع على هامش القوانين الطبيعية (كمشى المسيح على صفحة المياه التى تحمله وتغير الماء إلى نبيذ) . وقد تكون المعجزة أحياناً ظاهرة طبيعية غير عادية بسبب تحقيقها فى زمن قصير جدًّا كسكون العاصفة الفجائى أو تجفيف التين فى لحظة أو ذلك الصيد المعجز وكأن كل أسماك البحيرة قد تجمع فى نقطة محددة كانت الشباك قد ألقيت بها .

وفى هذه الأحداث يتدخل الله بقدرته ، ولا يدهش المرء مما يقدر الله على فعله ويبدو للإنسان كمعجزات وإن لم تكن كذلك بالنسبة له . إن هذه الاعتبارات لا تعنى بأى حال أن على المؤمن ألا يتدخل فى شئون العلم . فالإيمان بمعجزة إلهية والإيمان بالعلم أمران يتفقان تماماً . فالأولى إلهية المستوى والثانية إنسانية المستوى .

شخصيًّا أعتقد عن طيب خاطر أن المسيح قد استطاع أن يشفى الأبرص ولكنى لا أستطيع أن أقبل بأن يقال بصحة وبإلهام الله لنص أقرأ فيه أن عشرين فقط من الأجيال قد عاشت بين أول إنسان وإبراهيم ، يقول ذلك لوقا فى إنجيله (٣ ، ٢٣ ، – ٢٨) . وسنرى بعد قليل الأسباب التى تقرر أن نص لوقا ، كالنص الخاص بنفس الموضوع فى العهد القديم قد صدر عن الخيال البشرى .

إن الأناجيل (كالقرآن) تعطينا نفس المعطيات عن أصول المسيح البيولوجية . إن نمو المسيح فى رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية .

فالبويضة التى أنتجها مبيض أمه لم تحتج للالتقاء بحيوان منوى يأتى من أبيه ليشكل جنيناً ثم طفلاً قابلاً للحياة . إن الظاهرة التى تؤدى إلى ميلاد الكائن الحى دون تدخل من العنصر المخصب الذكر ، تسمى بالتلقيح الـذاتى Parthenogenese ويمكـن ملاحظة التلقيح الذاتى فى عالم الحيوان تحت ظروف معينة . وتلك حالة حشرات متنوعة وبعض اللافقريات وهى تخص أيضاً حالة جنس منتق من الطيور ولكن هذا استثنائى جدًّا . وقد أمكن بالتجربة عند بعض الثدييات ، أنثى الأرنب مثلاً ، الحصول على بداية لتطور البويضة إلى حالة جنينية فى مرحلة أولية جدًّا دون إدخال حيوان منوى . ولم يمكّن الذهاب إلى أبعد من هذا ولا يعرف ، عند هذه الثدييات أى مثال لتلقيح ذاتى مكتمل ، لا بالتجربة ولا بالطبع . أما المسيح فهو حالة خاصة . فقد كانت مريم أمًّا عذراء . وقد احتفظت بعذريتها ولم تلد أطفالاً غير المسيح . إن المسيح استثناء بيولوجى [1] .

شجرتا نسب المسيح

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية وبالاتفاق مع المعطيات العلمية ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالصحة . هى مشاكل تحرج جدًّا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنسانى : ولقد ألهم الخيال الإنسانى كتاب سفر التكوين الكهنوتيين فى القرن السادس قبل الميلاد فى موضوع أنسال البشر الأول . وهو أيضاً الذى ألهم متى ولوقا بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكاتبان من العهد القديم .

وبادئ ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسباً ، وهو وحيد مريم (أمه) . وليس له أب بيولوجى ، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط .

---

(١) تذكر الأناجيل أحياناً « إخوة » و « أخوات » للمسيح (متى ١٣ ، ٤٦ – ٥٠ و ٥٤ – ٥٨ ، مرقس ٦ ، ١ – ٦ ، يوحنا ٧ ، ٣و ٢ ، ، ١٢) . والكلمتان اليونانيتان المستخدمتان للتعبير عن هذه هما adelphoi-adelphai وتعنيان بالفعل إخوة وأخوات بالمعنى البيولوجى ، وهذه بالتأكيد ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامى وتعنيان أقرباء دون زيادة ، وربما كان المقصود أيضاً هو أولاد العمة أو الخالة .

وها هي ذى نصوص هذا النسب حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد : يضع متى شجرة نسب المسيح على رأس إنجيله :

كتاب أصول عيسى المسيح بن داود بن إبراهيم

إبراهيم ولد إسحاق
وإسحاق ولد يعقوب
ويعقوب ولد يهوذا وإخوته
ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار
وفارص ولد حصرون
وحصرون ولد آرام
وآرام ولد عمينا داب
وعمينا داب ولد نحشون
وَنَحْشُون وَلد سَلْمُونَ
وسلمون ولد بوعز من راحاب
وبوعز ولد عوبيد من راعوث
وعوبيد ولد يسى
ويسى ولد داود الملك ·
وداود الملك ولد سليمان مِن التي لاوريا
وسليمان ولد رحبعام
ورحبعام ولد أبيا
وأبيا ولد أسا
وأسا ولد يهوشافاط
ويهوشافاط ولد يورام
ويورام ولد عزيا
وعزيا ولد يوتام
ويوتام ولد أجاز

وأجاز ولد حزقيا
وحزقيا ولد منسى
ومنسى ولد أمون
وأمون ولد يوشيا
ويوشيا ولد يكنيا وإخوته
وكان النفى إلى بابل
بعد النفى ببابل :
يكنيا وَلَد شَالتيئيلَ
وَشَالْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَابِلَ
وَزَرُبَابِلُ وَلَدَ أبيهُودَ
وَأبِيهُودُ وَلَدَ ألْيَاقِيمَ
وَالْيَاقِيمُ وَلَد عَازُورَ
وَعَازُورُ وَلَد صَادُوقَ
وَصَادُوقُ وَلَدَ أخِيمَ
وأكيم ولد اليهود
واليهود ولد العازار
والعازار ولد متان
ومتان ولد يعقوب
ويعقوب ولد يوسف
رَجُلَ مَرْيَمَ التي وُلِدَ مِنْهَا
عيسى الذِي يُدْعَى المَسِيحَ .

وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ العدد بالإجمال لِلأَجْيَالِ هُوَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً من إِبرَاهِيم إلى دَاوُدَ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً مِن دَاوُد إلى المنفى بَابل ، وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً مِن المنفى بَابِل حتى المسيح .

أَمَّا لُوقا (٣ ، ٢٣ – ٢٨) فإِنَّهُ يُعْطِي المسيح نَسَباً يَختَلِفُ عَنْ ذَلِكَ الَّذِي فِي إِنْجيل مَتّى . ونقدمها فيما يلي حسب نفس الترجمة :

وَلَماَ ابْتَدَا عيسى كَانَ لَهُ نَحْو ثَلاثِينَ سَنَةً . وَهُوَ كَانَ عَلَى مَا يُظَنُّ ابن يُوسُف بن هَالِي ، ابْنِ مَتَّاتَ بن لاَوِي بِن مَلكِي بِن يَنَّا بن يُوسُفِ ، بن مَتَاثِيَا بِن عَامُوصِ ، بِن نَاحُوم بن حِسلِي بن ناجاى بِن مَاثِ بن مَتَاثِيَا بِن شَمْعِي بِن يُوسُف بِن يَهُوذَا بن يُوحَنَّا بِن رِيسَا ابن زُرْبَابِل بِن شَالْتِيئِيل بِن نيرِى بِنِ مَلكى بِن إدى بن قصم بن المودام بن عير ، بن موسى ابن اليعازر بن يوريم بن متثاتِ بن لاوى ، بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان ابن الياقيم ، بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود ، بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن شالح بن نحشون بن عميناراب بن أدمنى بن عرنى بن حصرون بن فارص ابن يهوذا د بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور ، بن سروح بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح ، بن قينان بن أرفكشار بن سام بن نوح بن لامك ، بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مَهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم بن الله » .

وتزداد هذه الأنساب وضوحاً (بوضعها) فى جدولين يعرض أولهما أنساب المسيح قبل داود ويعرض الآخر أنسابه بعد داود .

نسب المسيح ، قبل داود

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
	١ آدم
	٢ شيت
	٣ أندش
	٤ قينان
	٥ مهلئيل
	٦ يارد
	٧ أخنوخ
	٨ متوشالح
متى لا يذكر أى	٩ لامك
اسم قبل إبراهيم	١٠ نوح
	١١ سام
	١٢ أرفكشاد
	١٣ قينان
	١٤ شالح
	١٥ عابر
	١٦ فالج
	١٧ راعو
	١٨ سروح

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
	١٩ ناحور
	٢٠ تارح
١ إبراهيم	٢١ إبراهيم
٢ إسحق	٢٢ إسحاق
٣ يعقوب	٢٣ يعقوب
٤ يهوذا	٢٤ يهوذا
٥ فارص	٢٥ فارص
٦ حصرون	٢٦ حصرون
٧ آرام	٢٧ عرنى
	٢٨ أدمنى
٨ عمينا داب	٢٩ عمينا داب
٩ نعشون	٣٠ نحشون
١٠ سلمان	٣١ شالح
١١ بوعز	٣٢ بوعز
١٢ عبيد	٣٣ عوبيد
١٣ يسى	٣٤ يسى
١٤ داود	٣٥ داود

نسب المسيح بعد داود

١٥ سلمان	٣٦ ناتان
١٦ رحبعام	٣٧ متاتا
١٧ أبيا	٣٨ منا
١٨ أسا	٣٩ مليا
١٩ بوشافاط	٤٠ أليافيم

حسب إنجيل متى

٢٠ يورام
٢١ عزيا
٢٢ يوتام
٢٣ أجاز
٢٤ حزقيا
٢٥ منسي
٢٦ أمون
٢٧ يوشيا
٢٨ يكنيا
النفي إلى بابل
٢٩ شالتئيل
٣٠ زربابل
٣١ أبيهود
٣٢ ألياقيم
٣٣ عازور
٣٤ صادوق
٣٥ أكيم
٣٦ اليهود
٣٧ ألعازار
٣٨ متان
٣٩ يعقوب
٤٠ يوسف
٤١ عيسى

حسب إنجيل لوقا

٤١ يونان
٤٢ يوسف
٤٣ يهوذا
٤٤ شمعون
٤٥ لاوى
٤٦ متات
٤٧ يوريوم
٤٨ عازر
٤٩ يوسى
٥٠ عير
٥١ المودام
٥٢ قوسام
٥٣ آدى
٥٤ ملكى
٥٥ نيرى
٥٦ شالتئيل
٥٧ زربابل
٥٨ ريسا
٥٩ يوحنا
٦٠ يهوذا
٦١ يوسف
٦٢ شمعى
٦٣ متتيا
٦٤ مآت
٦٥ نجاى
٦٦ حسلى
٦٧ ناحوم
٦٨ عاموس
٦٩ متتيا
٧٠ يوسف
٧١ ينا
٧٢ ملكى
٧٣ لاوى
٧٤ متات
٧٥ عالى
٧٦ يوسف
٧٧ عيسى

الفروق حسب المخطوطات

وبالنسبة إلى العهد القديم

إذا وضعنا جانباً الاختلافات الإملائية فيجب أن نذكر :

(ا) إنجيل متى :

لقد زال نسب المسيح من النص المعـــروف باسم Codex Bezae Cantabrigiensis وهى مخطوطة هامة جدًّا ، ترجع إلى القرن السادس ، مزدوجة اللغة (يونانية ولاتينية) : وقد اختفى النص اليونانى تماماً واختفت غالبية النص اللاتينى ، وفيما يخص الجزء الضائع ربما الذى حدث هو مجرد ضياع الأوراق الأولى فقط . ولابد من الإشارة إلى الحرية الكبيرة جدًّا التى اتخذها متى إزاء العهد القديم : فقد حذف الأنساب منه لاحتياجات تختص ببرهنة حسابية غريبية (وفى نهاية الأمر لا يعطى متى هذا البرهان كما سنرى ذلك فيما بعد) .

(ب) إنجيل لوقا

١ – قبل إبراهيم : يذكر لوقا عشرين اسما ، أما العهد القديم فهو لا يذكر إلا تسعة عشر اسماً فقط (أنظر جدول أنسال آدم فى الجزء المكرس للعهد القديم) . وقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد (رقم ١٢) رجلا يدعى كاينام (رقم ١٣) لا نجد له أى أثر فى سفر التكوين باعتباره ابن أرفكشاد .

٢– من إبراهيم إلى داود : نجد عدداً يروح بين ١٤ ، ١٦ اسماً وذلك حسب المخطوطات .

٣ – من داود إلى المسيـــح : ونقطة الاختلاف الهـامة هى التى توجد فى النسخة المعروفة بـــاسم Codex Bezae Cantabrigiensis الذى ينسب إلى لوقـا شجرة نسب وهمية صنعت من النسب عند متى والتى أضاف الناسخ إليها خمسة أسماء . ومما يؤسف له أن الجزء الخاص بنسب المسيح من هذه المخطوطات قد اختفى ، وبهذا لم تعد المقارنة ممكنة .

دراسة نقدية للنصوص

يرى القارئ هنا شجرتى نسب المسيح والنقطة المشتركة الجوهرية هى المرور بإبراهيم وداود . ولتيسير هذه الدراسة سنتصدى للنقد بتقسيم المجموع إلى ثلاثة أجزاء .

- من آدم إلى إبراهيم .
- من إبراهيم إلى داود .
- من داود إلى المسيح .

١- الفترة من آدم إلى إبراهيم

بما أن متى يبدأ شجرة نسب المسيح بإبراهيم ، فالأمر هنا لا يخصه . إن لوقا فقط هو الذى يعطى معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم : وهو يعطى عشرين اسماً يوجد منها ، كما قلنا ، تسعة عشر اسماً بسفر التكوين (الإصحاحات ٤ و ٥ و ١١)

أيمكن تصور أنه لم يكن هناك إلا ١٩ أو ٢٠ جيلاً من الكائنات البشرية قبل إبراهيم ؟ لقد درست المشكلة فيما يختص بالعهد القديم . وإذا رجع القارئ إلى جدول أنساب آدم حسب سفر التكوين والذى يحتوى على الإحداثيات الحسابية الزمنية التى يمكن استنتاجها من نص التوراة ، فسنجد أنه قد مر حوالى ١٩ قرناً فيما بين ظهور الإنسان على الأرض وميلاد إبراهيم . ولكن ، لما كان المتخصصون يقدرون حاليًا أن إبراهيم كان يعيش فى عام ١٨٥٠ ق . م . تقريباً ، فإننا نستنتج أن الإحداثيات التى يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالى ٣٨ قرناً قبل المسيح . وبالطبع فقد استلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله . ولأنه نقل هذه المعطيات فقد وهم . ولقد رأى القارئ أعلاه الحجج التاريخية القاطعة التى أدت إلى هذه الدعوى .

وعلى هذا فإن تكوين معطيات العهد القديم غير مقبولة فى عصرنا . فذلك أمر يمكن تبريره : حيث إن هذه المعطيات تقع فى ميدان «البطلان» الذى تحدث عنه مجمع الفاتيكان الثانى . أما أن يأخذ المبشرون على عاتقهم بنفس هذه المعطيات التى لا تتواءم مع

العلم فذلك تقرير بالغ الجسامة يتعارض مع الذين يدافعون عن الصحة التاريخية للنصوص الإنجيلية .

لقد أدرك المعلقون جيداً خطورة هذا التقرير . وهم يحاولون تجنب هذه الصعوبة بقولهم إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها وإن المبشرين قد أسقطوا أسماء عن عمد وإن ما يجب أن يدخل فى الحسبان هو فقط «نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح بالاعتماد على الواقع التاريخى [1] .» وليس فى النصوص ما يسمح بإقامة مثل هذا الفرض . فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلاناً قد ولد فلاناً وأن هذا ابن ذلك . وزيادة على ذلك وبالنسبة لما يسبق إبراهيم على وجه خاص ، فقد نهل المبشر من العهد القديم الذى يعرض الأنساب على الوجه التالى :

س . . فى سن كذا أنجب ص . . وعاش ص كمًّا من الأعوام وأنجب ع . . إذن ليس هناك انقطاع فى التسلسل .

وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول فى ضوء المعارف الحديثة .

٢ – الفترة من إبراهيم إلى داود

هنا ، تتفق شجرتا النسب أو تكادان ، بفرق يبلغ اسماً أو اسمين : وقد يمكن تسويغ هذا الفرق بأخطاء للنساخ غير إرادية .

ولكن هل احتمال الصدق هنا فى جانب المبشرين ؟

إن التاريخ يحدد عصر داود حول عام ١٠٠٠ ق . م ، وعصر إبراهيم تقريباً حوالى ١٨٥٠ ١٨٠٠ ق . م . أى ١٤ أو ١٦ جيلا لثمانية قرون تقريباً . . . هل هذا معقول ؟ لنقل إذن إن النصوص الإنجيلية ، فيما يختص بتلك الفترة ، تقع على حدود الأمور المقبولة .

---

(١) A. Tricot, Petit Dictionnaire du Nouveau Testament

٣ – الفترة التالية لداود

للاسف ، لا تتفق النصوص بتاتاً فى تحديد السلف الداودى ليوسف ، أى أسلف المسيح فى الإنجيل .

ولنضع جانباً التزييف الصريح فى الوثيقة المعروفة باسم Codex Bezae Cantabrigiensis وفيما يختص بلوقا ، ولنقارن بين ما تأتينا به الوثيقتان الأكثر تمتعاً بالاحترام وهما ال Codex Vaticanus وَال Codex Sinaiticus .

تحتوى شجرة نسب المسيح عند لوقا على ٤٢ اسماً بعد داود (رقم ٣٥) وحتى المسيح (رقم ٧٧) . أما إنجيل متى فيشير إلى ٢٧ اسماً بعد داود (رقم ١٤) وحتى المسيح (رقم ٤١) . إذن فعدد أسلاف المسيح (الاعتبارين) بعد داود مختلف فى الإنجيلين . ويضاف إلى ذلك أن الأسماء نفسها مختلفة .

لكن هناك أكثر من ذلك :

يقول لنا متى إنه قد اكتشف أن أسلاف المسيح ينقسمون ابتداء من إبراهيم إلى ثلاث مجموعات يحتوى كل منها على ١٤ اسماً : المجموعة الأولى من إبراهيم إلى داود ، والمجموعة الثانية من داود إلى المنفى إلى بابل، والمجموعة الثالثة من النفى إلى بابل حتى المسيح . ويحتوى نص متى فعلاً على ١٤ اسماً فى كل من المجموعتين الأوليين ولكن المجموعة الثالثة – من النفى إلى بابل حتى المسيح – لا تحتوى إلا على ١٣ اسماً وليس ١٤ كما كان ينتظر . فالجدول يشير إلى أن رقم شالتئيل هو ٢٩ والمسيح ٤١ . وليست هناك أية نسخة مختلفة أخرى لمتى تحتوى على ١٤ اسماً فى هذه المجموعة .

وحتى ينجح متى فى إدخال ١٤ اسماً فى مجموعته الثانية فإنه يتصرف بحرية شديدة مع نص العهد القديم . وتتفق أسماء الأسلاف الستة الأولى لداود (من ١٥ إلى ٢٠) مع معطيات العهد القديم . ولكن متى يغفل أنسالً يورام (رقم ٢٠) الذين تقول لنا أخبار الأيام الثانى إنهم أخاذياس ويواس وأماسيا. ويضاف إلى ذلك أن يكنيا (رقم ٢٨) هو ابن يوشيا (رقم ٢٧) على حين يقول لنا كتاب الملوك الثانى إنه الياقيم ومكانه بين يوشيا ويكنيا .

بهذا يثبت أن متى قد عدل فى تسلسل النسب فى العهد القديم لكى يقدم مجموعة مصطنعة من ١٤ اسماً بين داود والنفى إلى بابل .

أما أن ينقص المجموعة الثالثة اسم حيث إنه ليس هناك أى نص حالى لهذا الإنجيل يحتوى على الـ٤٢ اسماً المشار إليها- فالدهشة لا ترجع إلى وجود الثغرة نفسها (فقد يكون تبرير ذلك هو خطأ قديم جدًّا لأحد النساخ قد استمر حتى الآن) بقدر ما ترجع إلى الصمت شبه التام للمعلقين على هذا الموضوع . فكيف لا يرون الثغرة ؟ لقد قطع و. ترلنج [١] W. Triling هـــذا الصمت الورع فى كتابه «إنجيل متى» بسطر واحد . لكن الأمر بعيد كل البعد عن أن يكون معدوم الأهمية ، فالمعلقون على هذا الإنجيل ، بما فى ذلك المعلقون على الترجمة المسكونية وآخرون مثل الكاردينال دانيـــلوا Danielou يكشـــفون عن الأهمية الكبرى لرمز العدد ١٤ مضروباً فى ٣ عند متى . أفلم يحذف هذا المبشر دون تردد أسماء جاءت فى التوراة لكى يوفق فى برهنته الحسابية ؟

هذا لا يهم فقد أقام المعلقون بناء على المديح والتبرير يعلل إسقاط الأسماء ويتجنب الثغرة وبذلك ينهار ما أراد المبشر إثباته .

تعليقات المفسرين المحدثين

فى كتاب «إنجيل الطفولة» Les Evangiles de l'enfance (١٩٦٧)[٢] يعطى الكاردينال دانيلو قيمة رمزية ذات أهمية كبرى «للبيان الحسابى» فى إنجيل متى . فهذا البيان فى نظره هو الذى يحدد أسلاف المسيح الذين يؤكدهم لوقا أيضاً . إن لوقا ومتى ، فى نظر الكاردينال دانيلو ، «مؤرخان» قاما «بتحقيق تاريخى» ، بما أن نسب المسيح «مقتبس من أرشيف عائلة المسيح» . ولا بد من تحديد أن هذا الأرشيف لم يعثر عليه قط[٣] .

---

(١) Desclee, Collection 'Parole et Priere"

(٢) Editions du Seuil

(٣) بالرغم من أن المفسر يؤكد لنا أنه يعرف وجود هذه «الأرشيفات» العائلية المزعومة من خلال «كتاب تاريخ الكنيسة» ليوزيب السيزارى Eusébe de Césarée وهو كاتب تدعو جديته إلى جدل كثير- فإن من العسير تخيل أن لعائلة المسيح شجرتى النسب تختلفان بالضرورة، حيث إن كلا من هذين «المؤرخين» يقدم نسباً للمسيح يختلف معظمه عن الآخر بالنسبة للأسماء وبالنسبة لعدد الأسلاف أيضاً .

ويلقى الكاردينال دانيلو اللعنة على هؤلاء الذين ينتقدون وجهة نظره . يقول : «إن العقلية الغربية والجهل باليهودية – المسيحية والافتقاد إلى الحس السامى كل هذا قد أضل كثيراً من المفسرين فى تفسير الأناجيل . فقد أسقطوا قاطيغورياتهم (كذا) الأفلاطونية والعقلانية والهيجلية والهيدجرية ولهذا أصاب الخلط نفوسهم» . وواضح تماماً أن ليس لأفلاطون أو ديكارت أو هيجل أو هيدجر ناقة أو جمل فى هذا الموقف النقدى الذى قد يتخذه القارئ إزاء هذا النسب الوهمى للمسيح .

ويبحث المفسر عن معنى العدد ٣ مضروباً فى ١٤ ويطنب فى افتراضات غريبة لا نفعل إلا ذكرها . يقول : «قد يكون المقصود هو الأسابيع العشرة الاعتيادية للرؤيا اليهودى ، مع طرح الأسابيع الثلاثة الأولى المناظرة للفترة الزمنية من آدم إلى إبراهيم : ويتبقى بعد ذلك الأسابيع السبعة السنوية التى تمثل الأسابيع الستة الأولى ، منها المجموعات الثلاث التى يتكون كل منها من ١٤ اسماً باعتبار أن المسيح يفتتح الأسبوع السابع الذى ينفتح به العمر السابع للعالم» . مثل هذه الشروح لا تحتاج لأى تعليق !

والمعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقدمون هم أيضاً تنويعات تبريرية ومديحية محسوبة وهى لا تقل غرابة أيضاً . يقولون :

(ا) قد يكون العدد ١٤ هو المجموع الحسابى للحروف الساكنة الثلاثة التى يتكون منها اسم داود فى العبرية (د = ٤ ، و = ٦) ومن هنا : ٤ + ٦ + ٤ = ١٤ .

(ب) ٣ × ١٤ = ٦ × ٧ و «المسيح يأتى فى نهاية الأسبوع السادس من التاريخ المقدس الذى يبدأ بإبراهيم .» وتعطى هذه الترجمة المسكونية للنسبة لإنجيل لوقا ٧٧ اسماً من آدم إلى المسيح وذلك يدخل من جديد الرقم ٧ باعتباره قاسماً العدد ٧٧ (٧ × ١١ = ٧٧) . ولكن عديدا من النقاط المختلفة عند لوقا يسقط الأسماء ويضيف أسماء أخرى بحيث إن أية قائمة تتكون عنده من ٧٧ اسماً هى قائمة مصطنعة ، حتى إن تمتعت بقابلية الدخول فى مثل هذه الألعاب الحسابية .

لا شك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى .

تناقضات وأمور غير معقولة فى الروايات

يحتوى كل من الأناجيل الأربعة على عدد هام من الروايات التى تسرد أحداثاً قد تكون مذكورة فى إنجيل واحد فقط أو تذكر فى عدة أناجيل أو فيها كلها . فإذا كانت مذكورة فى إنجيل واحد فقط ، فإنها تطرح مشاكل هامة ، وعلى هذا ففى حالة ما يكون الحدث بعيد المرمى فإن القارئ يدهش أن مبشراً واحداً فقط قد ذكره : وعلى سبيل المثال صعود المسيح إلى السماء يوم القيامة . يضاف إلى ذلك أن كثيرًا من الأحداث مسرود بشكل مختلف وأحياناً بشكل مختلف جدًّا لدى اثنين أو أكثر من المبشرين . وكثيراً ما يدهش المسيحيون عندما يَكتَشِفُونَ وجود هذه المتناقضات بين الأناجيل ، فقد كرر على مسمعهم وبكثير من التأكيد أن كتاب الأناجيل كانوا شهودًا معاينين للأحداث التى أخبروا بها .

ولقد أشرنا فى الفصول السابقة إلى بعض هذه الأمور غير المعقولة وهذه المتناقضات المثيرة للبلبلة . ولكن ما يشكل بوجه خاص موضوع الروايات المتضاربة أو المتناقضة هو الأحداث الأخيرة التى طبعت حياة المسيح والتى تلت آلامه .

روايات الآلام

ويلاحظ الأب روجى R.P. Roguet نفسه أن عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنيًّا بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحواريين فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة وفى الإنجيل الرابع . فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء «قبل عيد الفصح» . أما الأناجيل الأخرى فتقول إنه حدث فى أثناء عيد الفصح نفسه . ويؤدى هذا التضارب فضلا عن ذلك إلى أمور واضحة فى عدم معقوليتها : إذ يستحيل تصور هذا الحدث أو ذاك بسبب موقع عيد الفصح الذى تحدد بهذا الشكل وبالنسبة إلى هذا الحدث . وعندما ندرك أهمية عيد الفصح فى الطقوس اليهودية والأهمية التى اكتسبها هذا العشاء الذى ودع فيه المسيح حواريه ، فكيف يمكن تصور أن التراث الذى نقله المبشرون فيما بعد قد نسى زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح ؟

وبشكل أكثر عمومية فروايات الآلام تختلف بحسب الأناجيل وهى تختلف بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة الأولى وبين إنجيل يوحنا . فالعشاء الأخير للمسيح والآلام يحتلان فى إنجيل يوحنا مساحة كبيرة تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا . ويزيد نص يوحنا بمقدار مرة ونصف مرة على نص متى . ويسرد يوحنا خطبة طويلة للمسيح نحو تلامذته ويحتل سرد هذه الخطبة أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) فى إنجيله . وعبر هذا الحديث الأعظم يعطى المسيح آخر إرشاداته لتلامذته الذين سيتركهم كما يسلمهم وصيته الروحية . وليس هناك أى أثر من هذا فى الأناجيل الأخرى . وعلى العكس يسرد متى ولوقا ومرقس صلاة المسيح لجيتسمانى ، ولا يشير يوحنا إليها .

غياب رواية تأسيس القربان المقدس من إنجيل يوحنا

وأهم ما يلفت قارئ الآلام فى إنجيل يوحنا هو أنه لا يشير أية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس فى أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين .

وليس هناك مسيحى لا يعرف أيقونة العشاء الأخير حيث يجلس المسيح بين حواريه للمرة الأخيرة . لقد صور أعظم المصورين هذا الاجتماع الأخير وفيه يجلس يوحنا إلى جانب المسيح ، يوحنا . . . هذا الذى اعتدنا اعتباره مؤلف الإنجيل الذى يحمل اسمه .

ومهما كان فى ذلك دهشة للكثيرين فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع وهذا الأخير لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس . هذا على حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح هو الفعل الطقسى الكنسى الجوهرى للمسيحية . إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تتحدث عن هذا الفعل ، وإن كان ذلك بألفاظ مختلفة كما أشرنا أعلاه . أما يوحنا ، فهو لا يقول عنه كلمة واحدة . روايات الأناجيل الأربعة تحتوى فقط على نقطتين مشتركتين : التنبؤ بإنكار بطرس وخيانة أحد الحواريين (ولا يشار إلى يهوذا الأسخريوطى باسمه إلا فى إنجيلى متى ويوحنا) . إن إنجيـــل يوحنا وحده هو الذى يسرد غسل المسيح لأقدام تلاميذته فى بداية العشاء .

كيف يمكن تفسير هذه الثغرة فى إنجيل يوحنا ؟

إذا أردنا التفكير بموضوعية فإن أول ما يرد على الخاطر ، على افتراض أن رواية الأناجيل الثلاثة الأولى صحيحة ، هو فرض ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا الذى يسرد نفس الحدث . ولكن هذا ما لم يتوقف عنده المعلقون المسيحيون .

ولندرس بعض مواقفهم .

. ويقول ا . تريكو A.Tricot فى كتابه Petit Dictionnaire du Nouveau Testament تحت مقال بعنوان « العشاء الأخير » "Cene" ما يلى : « هو آخر عشاء تناوله المسيح مع الاثنى عشر حواريًّا والذى أسس فيه القربان المقدس . ونحن نملك رواية هذا العشاء فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة » . (مراجع متى ومرقس ولوقا) ، « ويعطينا الإنجيل الرابع تفاصيل تكميلية » (مراجع يوحنا) . وفى مقال « القربان المقدس » يقول نفس هذا الكاتب ما يلى : « تسرد الأناجيل الثلاثة الأولى بتأسيس القربان المقدس بشكل مختصر وقد كانت تلك نقطة على أهمية كبرى فى التعليم المسيحى الرسولى . وقد أعطى القديس يوحنا تكملة ضرورية لهذه الروايات الوجيزة وذلك بسرد خطبة المسيح عن خبز الحياة (الإصحاح ٦ : ٣٢-٥٨) » . وبالتالى لا يشير المعلق إلى أن يوحنا لم يسرد تأسيس المسيح للقربان المقدس . المؤلف يتحدث عن تفاصيل تكميلية لتأسيس القربان المقدس (والواقع أن المقصود هو منسك غسل أقدام الحواريين) . أما فيما يخص « خبز الحياة » الذى يتحدث عنه المعلق فالمقصود هو ذكر المسيح – خارج العشاء الأخير – للمن الذى وهبه الله فى الصحراء ، فى عصر خروج اليهود الذين كان موسى قادهم . ويوحنا هو الوحيد من بين المبشرين الذى يذكر بهذا الأمر . ولا شك فى أن يوحنا يشير ، فى الفقرة التالية فى إنجيله ، لإشارة المسيح للقربان المقدس ، وذلك فى شكل استطراد خاص بالخبز ، ولا يتحدث أى مبشر آخر عن هذا الحدث .

هكذا إذن يمكن أن ندهش لصمت يوحنا على ما يسرده المبشرون الثلاثة الآخرون ولصمت هؤلاء على ما أعلن المسيح عنه فى قول يوحنا .

هذه الثغرة الكبيرة فى إنجيل يوحنا . . . يعترف بها المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد ولكنهم يقدمون التبرير التالى لعدم سرد يوحنا لتأسيس القربان المقدس يقولون : «إن يوحنا ، عموماً ، لا يكن أى اهتمام إزاء تقاليد ومؤسسات إسرائيل القديمة ، وربما كان هذا هو الذى جعله يحيد عن الإشارة إلى تأصل القربان المقدس فى طقوس عيد الفصح . «كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية هو الذى قاد يوحنا إلى أن لا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسى فى طقوس الدين الجديد ؟

إن المشكلة تحرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يحتالون فى البحث عن صور أولية أو معادلات للقربان المقدس فى أحداث حياة المسيح التى يسردها يوحنا . فهكذا يرى ا . كولمان O. Culmann فى كتابه «العهد الجديد» أن معجزة قانا وتكاثر الخبز هما بمثابة صورة مسبقة لسر العشاء المقدس (تناول القربان المقدس) » . ولنذكر بأن ما حدث بقانا هو تحويل الماء إلى خمر فرغت عند عرس (وهى أول معجزة للمسيح ويذكرها يوحنا وحده من بين كل المبشرين ، فى الإصحاح الثانى من إنجيله — الآيات من ١ إلى ١٢) . أما فيما يختص بتكاثر الأرغفة (يوحنا ، الإصحاح السادس الآيات من ١ إلى ١٣) فقد أدى ذلك إلى إطعام خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة تكاثرت بمعجزة . وعندما سرد يوحنا هذه الأحداث فإنه لم يضف أى تعليق خاص . إن عملية تقريب هذه المعجزات من تأسيس القربان المقدس هى من وحى خيال المفسر الصرف . ولا يرى القارئ سبب هذا التقريب ، كما يظل مبلبلا جدًّا عندما يكتشف أن نفس هذا الكاتب يرى أن شفاء المشلول والأعمى يبشران بالتعميد وأن «الماء والدم الخارجين من صدر المسيح بعد موته يجمعان فى حدث واحد «إحالة إلى التعميد والقربان المقدس» .

وهناك تقريب آخر خاص بالقربان المقدس عند نفس هذا المفسر ويذكره الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل Initiation a l'Evangile ، يقول : «يرى بعض علماء اللاهوت المتخصصين فى الكتاب المقدس ، أن حكاية غسل الأقدام قبل العشاء الأخير معادل رمزى لتأسيس القربان المقدس . . .» .

ولا نرى جيدًا أساس كل هذه التقريبات الوهمية التى يقول بها المعلقون حتى يجعلوا الناس يقبلون بسهولة أكثر تلك الثغرة المحيرة فى إنجيل يوحنا .

ظهور المسيح بعد قيامته

أعطينا سابقاً مثالا بارزاً على الخيال فى الرواية بالنسبة لإنجيل متى وذلك فيما يخص وصفه لظاهرات غير طبيعية. قد صاحبت موت المسيح . والأحداث التى تلت قيامته قد أعطت مادة لروايات متناقضة بل غريبة عند كل المبشرين .

ويعطينا الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص ١٨٢) أمثلة على الإختلاط والفوضى والتناقض التى تسود هذه الروايات ، فيقول :

«لا تتطابق تماماً فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر . فليس هناك إلا امرأة واحدة فى إنجيل يوحنا وهى مريم المجدلية . ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهى تقول : «لا نعرف أين وضعوه» . أما فى إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل . ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر . ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلا فى مصدره ، يقول الملاك : «تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل . . .» والوقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته . . .» — «أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت القدس ، ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة . . . إذن بالجليل . وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل» . ويستبعد المعلق من هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التى تتحدث عن ظهور المسيح لأنه يعتقد أنها «قد كتبت بقلم آخر .»

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المحتواة فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥ ، ٥–٧) ، إذ يقول إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد ولجاك ولكل الحواريين دون أن ينسى نفسه .

وإنه لما يثير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجى فى نفس هذا الكتاب «بالخوارق

الطنانة والطفولية فى بعض الأناجيل المزورة» فيما يتعلق بقيامة المسيح . ألا تصلح هذه الأوصاف بشكل كامل لمتى وبولس نفسه الذى يتناقض تماماً مع المبشرين الآخرين فيما يختص بظهور المسيح بعد قيامته ؟

يضاف إلى ذلك أن هناك تناقضا بين رواية «أعمال الرسل» ، وهى من تأليف لوقا المبشر ، عن ظهور المسيح لبولس وبين ما يقوله لنا بولس عن ذلك بشكل موجز . لقد أدى هذا إلى أن يشير الأب كانينجسر R.P. Kannengiesser فى كتابه «الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان Foi en la Resurrection, Resurrection de la Foi» (١٩٤٧) إلى أن بولس «هو الشاهد المعاين الوحيد على قيامة المسيح الذى يصل بصوته إلينا مباشرة عبر ماكتب[1] ، لكنه لايتحدث أبدًا عن مقابلته الشخصية مع المسيح بعد قيامته – هذا إذا استثنينا ثلاث إشارات شديدة التحفظ . .» «بل أكثر من ذلك : أنه يمنع نفسه من وصف هذه المقابلة . »

إن التناقض جلى بين بولس ، وهو الشاهد المعاين الوحيد ولكنه مشكوك فيه ، وبين الأناجيل .

ويلاحظ ا . كولمان فى كتابه «العهد الجديد» التناقضات بين لوقا ومتى : فالأول يقول بظهور المسيح فى الناصرة Judee ، أما الثانى فيقول إنه ظهر بالجليل .

أما فيما يخص التناقض بين لوقا ويوحنا فلنذكر أن الحدث الذى يرويه يوحنا (الإصحاح ٢١ ، الآيات من ١ إلى ١٤) عن ظهور المسيح للصيادين بعد قيامته على شاطئ بحيرة طبرية وحصولهم بعد ذلك على سمك كثير حتى إنهم لا يستطيعون حمله ، ليس إلا رواية معادة لنفس حدث معجزة الصيد بنفس المكان فى حياة المسيح فى رواية لوقا (الإصحاح الخامس ، الآيات من ١ إلى ١١) .

ويؤكد لنا الأب روجى فى كتابه ، وفيما يتعلق بمرات ظهور المسيح «إن هذا التفكك ، هذا الغموض ، هذا الاختلال يبعث على الثقة عنده» ؛ فكل ذلك يثبت أن

---

(١) ليس هناك أى كاتب للعهد الجديد يستطيع أن ينسب لنفسه مثل هذه الصفة .

المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا[١] . وهذا تفكير غريب . فالواقع أنهم قد استطاعوا أيضاً أن يوردوا – بإخلاص تام وعلى غير علم منهم – كل الأقوال الموروثة لطوائفهم وذلك فى قوالب روائية : كيف ننتهى إلى إقامة هذا الفرض فى مواجهة هذه الكثرة من التناقضات والأمور غير المعقولة فى رواية الأحداث ؟

صعود المسيح

تمتد المتناقضات حتى نهاية الروايات لأنه ليس يوحنا ولا متى يشيران إلى صعود المسيح . فمرقس ولوقا فقط يتحدثان عن هذا .

وبالنسبة لمرقس (١٦ ، ١٩) فإن المسيح «قد رفع إلى السماء وجلس على يمين الله» ، وهذا دون تحديد تاريخى بالنسبة لقيامته . ولكن لا بد من ملاحظة أن نهاية إنجيل مرقس ، التى تحتوى على هذه الجملة، ليست نصًا صحيحاً : وهى نص كتب وأضيف بعد ذلك ، فى رأى الأب روجى حتى وإن كانت الكنيسة تعتبره قانونيًا .

يتبقى إنجيل لوقا فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود وذلك فى نص لا يناقشه أحد . (٢٤ ، ٥١) يقول : «انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء» . ويضع لوقا الحدث فى نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حواريًا[٢] : وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود قد حدث يوم القيامة . ولكن لوقا يصف فى «أعمال الرسل» ، والكل يعتقد أنه كاتبها ، مرات ظهور المسيح للحواريين بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية : «وقد حصلوا منه على أكثر من آية على حين أظهر نفسه لهم وحدثهم ، طيلة أربعين يوماً ، عن ملكوت الله» (١ ، ٢–٣) . إن هذه الفقرة من «أعمال الرسل» هى الأصل فى تحديد العيد المسيحى للصعود بأربعين يومًا بعد الفصح وحيث يحتفل بالقيامة . التاريخ إذن محدد على عكس إنجيل لوقا ، ويضاف إلى ذلك أن ليس هناك أى نص إنجيلى آخر يبرر هذا التحديد التاريخى .

إن المسيحى وقد عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة فالتناقض واضح . ومع ذلك فالترجمة

(١) لا نتصور كيف كان يمكن لبعض المبشرين أن يفعل هذا .

(٢) المقصود هو الأحد عشر حواريا حيث إن الثانى عشر ، وهو يهوذا ، قد مات .

المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا الواقع ولكنها لا تفيض فى الحديث عن التناقض ، بل هى تكتفى بالإشارة إلى احتمال أهمية هذه الأربعين يوماً بالنسبة لرسالة المسيح .

إن المعلقين الذين يريدون شرح كل شيء والتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق يعطوننا فى هذا الشأن تفسيرات شاذة .

فالطبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة Synopse des 4 Evangiles التى نشرتها مدرسة الكتاب المقدس بالقدس عام ١٩٧٢ تحتوى على تعليقات شديدة الغرابة .

فحتى كلمة « صعود » موضوع للنقد التالى : « الواقع أنه لم يحدث صعود بالمعنى الفيزيقى نفسه ، فليس الله بأعلى أكثر مما هو بأسفل » (كذا !) . ولا يفهم القارئ جيدًا معنى تلك الملاحظة ويتساءل كيف كان يمكن للوقا أن يصرح بهذا بشكل آخر .

ويضاف إلى ذلك أن كاتب التعليق يرى « حيلة أدبية » فى واقع أن « أعمال الرسل تقول إن الصعود قد حدث بعد أربعين يوماً من قيامة المسيح » ، و« الحيلة نفسها تهدف إلى التأكيد على أن فترةظهور المسيح قد انتهت » . ولكنه يضيف أن إنجيل لوقا يحدد الحدث بمساء يوم الفصح ، حيث إن لوقا لا يضع أى فاصل بين مختلف الأحداث التى يسردها ، وبعد اكتشاف القبر فارغاً صباح القيامة » . . . « أليس هذا أيضاً حيلة أدبية تهدف إلى ترك فترة من الزمن بما يسمح للمسيح بالظهور بعد قيامته ؟ » (كَذَا) .

إن الشعور بالحرج النابع من تفسيرات من هذا النوع يتضح أكثر فأكثر فى كتاب الأب روجى الذى يميز بين صعودين ! يقول :

« إذا كان الصعود ، من وجهة نظر المسيح ، يواكب القيامة ، فإنه لا يقع من وجهة نظر التلامذة إلا بعد أن يكف المسيح تماماً عن الظهور لهم حتى يرسل لهم الروح وحتى يبدأ عصر الكنيسة . »

وإذا كان ثمة قارئ غير قادر على إدراك الدقة اللاهوتية فى تفكير الكاتب التى لم تكن تملك أى أساس من معرفة النصوص الإنجيلية ، فإن الكاتب يوجه إليه هذا التحذير العام وهو نموذج للإطناب فى اللغة المديحية .

وهنا كما فى كثير من الحالات المماثلة لا تبدو المشكلة بغير حل إلا إذا أخذنا حرفيًّا وماديًّا

بدعاوى الكتاب المقدس مع تناسى معناها الدينى . وليس المقصود هو إذابة واقع الأشياء فى زمزية هلامية ، وإنما المقصود هو أن نبحث عن النية اللاهوتية لدى هؤلاء الذين يكشفون لنا الألغاز عندما يعطوننا ، عن أمور محسوسة ، علامات تختص بالجذور المادية لعقليتنا . »

أحاديث المسيح الأخيرة . الـ Paraclet فى إنجيل يوحنا

يوحنا هو المبشر الوحيد الذى سرد ما حدث فى نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه ، أى آخر أحاديثه مع الحواريين ، وينتهى هذا الحدث بخطبة طويلة . فإنجيل يوحنا يفرد أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) لتلك الرواية التى لا نجد لها أثراً فى الأناجيل الأخرى . ومع ذلك فهذه الإصحاحات من إنجيل يوحنا تعالج مسائل أساسية وآفاق مستقبل ذات أهمية بالغة وهى معروضة بكامل العظمة والجلال اللذين يميزان هذا المشهد لوداع السيد لتلامذته .

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل متى ومرقس ولوقا لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح ؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى : هل كان النص موجودًا أولا عند المبشرين الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ ولنقل فورًا إنه لا يمكن الإتيان بأية إجابة ، فاللغز مستغلق تمامًا بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين

إن ما يسود الرواية – وهذا مفهوم فى حديث أخير – هو مستقبل البشر الذى يتحدث عنه المسيح واهتمام السيد بالتوجه إلى تلامذته وإلى الإنسانية برمتها عبرهم ، معطيًا إرشاداته وأوامره ومحددًا بشكل نهائى المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه . إن نص إنجيل يوحنا – وهذا النص وحده – يسمى بشكل صريح هذا المرشد باسم يونانى هو Parakletos الذى أصبح فى الفرنسية Paraclet . وها هى ذى الفقرات الجوهرية من هذه الخطبة حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد :

« إذا كنتم تحبوننى فستعملون على اتباع أوامرى ، وسأصلى للأب الذى سيعطيكم Paraclet آخر . » (١٤ ، ١٥–١٦) .

ما معنى هذه الكلمة Paraclet . إن النص الذى نملك حاليًا لإنجيل يوحنا يشرح معناها بالألفاظ التالية :

« الـ Paraclet ، الروح القدس ، الذى سيرسله الأب باسمى سيبلغكم كل شيء وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم » (١٤ ، ٢٦) .

« هو نفسه سيشهد بى » (١٥ ، ٢٦)

« رحيلى فائدة لكم ، لأننى إذا لم أرحل فالـ Paraclet لن يأتى إليكم ، وعلى العكس فإذا رحلت فسأبعث به إليكم . وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم . . » (١٦ ، ٧ – ٨)

« عندما سيأتى روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها ، لأنه لن يتكلم بإرادته وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى . وسيمجدنى . . . » (١٦ ، ١٣ – ١٤) . (ويلاحظ أن الفقرات التى لم تذكر هنا من الإصحاحات ١٤ إلى ١٧ من إنجيل يوحنا لا تعدل مطلقا من المعنى العام للفقرات المذكورة) .

وإذا قرأنا بسرعة فإن النص الذى يثبت تطابق كلمة Parakletos اليونانية على الروح القدس لا يجذب الانتباه فى كثير من الأحيان . وخاصة أن العناوين الثانوية للنص المستخدمة عموماً فى الترجمات بالإضافة إلى ألفاظ التعليقات المقدمة فى كتب التعليم العام توجه القارئ نحو المعنى الذى تريد الروح التقليدية إعطاءه لهذه الفقرات . وإن حدث وصادف القارئ أقل صعوبة فى الفهم ، فالتحديدات موجودة كتلك التى يعطيها « المعجم الصغير للعهد الجديد » للأب تريكو A. Tricot وهى تعطى كل التوضيحات فتحت عنوان Paraclet كتب المعلق ما يلى :

« هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية إلى الفرنسية غير مستخدم فى العهد الجديد إلا فى إنجيل يوحنا : فهو يذكر الكلمة أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد العشاء الأخير[1] (١٤ ، ١٦ و ٢٦ ؛ ١٥ ، ٢٦ ؛ ١٦ ، ٧) ومرة واحدة فى رسالته

---

(١) الواقع أن المسيح ، فى قول يوحنا ، يلقى خطابه الطويل فى أثناء نفس هذا العشاء وفيه يتحدث عن الـ Paraclet وهو خطاب لم يسرده المبشرون الآخرون .

الأولى (٢ ، ١) . إن الكلمة فى إنجيل يوحنا تنطبق على الروح القدس ، أما فى الرسالة فهى تنطبق على المسيح . لقد كانت كلمة Paraclet سائدة لدى اليهود الهللنستيين فى القرن الأول بمعنى الوسيط ، والمدافع . (. . .) فالمسيح يعلن أن الروح سيرسل بالأب والابن فى دوره الإنقاذى الذى يؤديه فى أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلامذته . إن الروح يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره Paraclet أو وسيط قادر على كل شىء . »

إذن فهذا التعليق يجعل من الروح القدس مرشدًا أسمى للبشر بعد اختفاء المسيح . فهل يتفق مع نص يوحنا ؟

لا بد من طرح المشكلة . فمبدئيًا يبدو غريباً أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة المذكورة أعلاه والتى تقول : « لن يتكلم بإرادته وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى » .

يبدو أن من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان أن يتحدث وأن يقول ما يسمع . . . وفى علمى أن هذه المسألة التى يوصى المنطق بطرحها ليست عموماً موضوع أى تعليقات .

ولكى تكون لنا فكرة صحيحة عن المشكلة يجب الرجوع إلى النص اليونانى الأساسى وهذا أمر يساوى فى أهميته الاعتراف بأن يوحنا قد كتب باليونانية وليس بلغة أخرى . إن النص اليونانى الذى رجعنا إليه هو نص Novum Testamentum Graece ، طبعة نستلى والأند Nestle et Aland (١٩٧١) ..

إن أى نقد جاد للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصية . ويظهر هنا أن ليس فى مجموع المخطوطات المعروفة لإنجيل يوحنا نص آخر مختلف من شأنه أن يحرف المعنى سوى تلك الفقرة ١٤ ، ٢٦ من المخطوطة السريانية الشهيرة المسماة ب Palimpseste [1] والفقرة لا تشير إلى الروح فقط وإنما إلى الروح القدس . فهل هذا مجرد نسيان من قبل الناسخ أو أنه لم يجرؤ على كتابة ما بدا له أنه أمر غير معقول فى مواجهة نص يدعى أن الروح القدس

---

(١) مخطوطة كتبت فى القرن الرابع أو الخامس واكتشفها أنيس س. لويس Agnés S. Lewis عام ١٨١٢ بدير سيناء . وتحمل المخطوطة هذا الاسم لأن النص الأول كان مغطى بنص آخر وعندما مسح هذا الأخير ظهر النص الأول .

يسمع ويتكلم؟ فيما عدا هذه الملاحظة وبعض الاختلافات النحوية التى لا تغير شيئاً من المعنى العام للنص ، فليس هناك مجال للإصرار على اختلافات نصية أخرى . وما يهم هو أن المعروض هنا عن الدلالة المحددة لفعلى «يسمع» و «يتحدث» يسرى على كل مخطوطات إنجيل يوحنا ومن ضمنها الحالة المعينة هنا .

وفعل يسمع entendre فى الترجمة الفرنسية هو فعل Akouo باليونانية ويعنى استقبال أصوات . وقد أعطى الفعل اليونانى ، على سبيل المثال ، كلمة Acoustique بالفرنسية و"Acoustics بالإنجليزية وتعنى علم الأصوات .

أما فعل «يتحدث Parler » فى الترجمة الفرنسية فهو فعل Laleo باليونانية ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام . ويتكرر هذا الفعل كثيرًا فى النص اليونانى وذلك للإشارة إلى التصريح الجليل للمسيح فى أثناء تبشيره . يبدو إذن أن الاتصال بالناس المقصود هنا لا يكمن مطلقاً فى إلهام من عمل الروح المقدس . إنما هو اتصال ذو طابع مادى واضح وذلك بسبب مفهوم إصدار الصوت وهو المفهوم المرتبط بالكلمة اليونانية التى تعرفه .

الفعلان اليونانيان Akouo وLaleo يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام . وبالتالى فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن . إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا ، كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية ، غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه فى تمامه مع كلمتى «الروح القدس» فى الآية ٢٦ من الإصحاح ١٤ وهى : « Paraclet ، الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى . . . » إلخ . إنها الجملة الوحيدة فى إنجيل يوحنا التى تثبت تطابقاً بين ال Paraclet والروح القدس .

ولكن إذا حذفنا كلمتى الروح القدس (to pneuma to agion) من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح . ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلا ماديًّا وذلك من خلال نص آخر ليوحنا ، وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم نفس هذه الكلمة Paraclet للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله [١] .

---

(١) كثير من ترجمات الأناجيل و التعليقات عليها ، والقديمة منها على وجه خاص . تترجم هذه الكلمة بالمعنى وهذا خطأ تم .

وعندما يقول المسيح ، حسب إنجيل يوحنا (١٦ ، ١٤) : «سأصلى لله وسيرسل لكم Paraclet آخر» فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطاً «آخر» كما كان هو وسيطا لدى الله وفى صالح البشر فى أثناء حياته على الأرض .

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى فى ال Paraclet عند يوحنا كائناً بشريًّا مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام ، وهما الخاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع . إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا ولنقل باختصار إنه دور نبى يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته . ذلك هو التفسير المنطقى لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلى .

إن وجود كلمتى «الروح القدس» فى النص الذى نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لا حقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض ، بإعلانها بمجىء نبى بعد المسيح ، مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء .

خاتمة

إن الأمور التى وردت هنا والتعليقات المذكورة عن كثير من المفسرين المسيحيين البارزين تؤدى إلى رفض الدعاوى الشكلية . وذلك بالاعتماد على الخط الذى تبناه المجمع الأخير . التى تخص بالتاريخية المطلقة للأناجيل التى يدعى أنها نقلت بأمانة ما فعله المسيح حقًا وما علم .

والحجج التى أعطيت تنتمى إلى فئات عدة :

أولا : هناك العبارات المذكورة من الأناجيل فهى نفسها تثبت تناقضات جلية . إذ لا يمكن الاعتقاد بوجود أمرين متناقضين . ولا يمكن قبول بعض الأمور غير المعقولة أو دعاوى تتعارض مع المعطيات التى أثبتتها تماماً المعارف الحديثة . إن شجرتى أنساب المسيح اللتين تقدمها الأناجيل بالإضافة إلى ما تحتويان عليه من أمور صحيحة . تأتيان بالبرهان فى هذا الشأن .

وكثير من المسيحيين يجهلون هذه المتناقضات والأمور غير المعقولة أو التى لا تتفق مع العلم الحديث ، وهم يصابون بالذهول عندما يكتشفون كل هذا : فقد ظلوا دائماً متأثرين بقراءة التعليقات التى تعطى توضيحات دقيقة تطمئنهم وتعين فى ذلك الغنائية المديحية . ولقد أعطينا أمثلة مميزة لحذق بعض المفسرين فى إخفاء ما يسمونه حياء «صعوبات» .

الواقع أن فقرات الأناجيل التى اعترف بعدم صحتها نادرة جدًّا ومع ذلك أعلنت الكنيسة بقانونيتها .

لقد أوضحت دراسات نقد النصوص الحديث المعطيات التى تكون ، فى رأى الأب كانينجسر ، «ثورة فى مناهج التفسير» والتى تؤدى إلى «عدم الأخذ بحرفية» الأمور الواردة بشأن المسيح فى الأناجيل . فهذه الأخيرة «كتابات ظرفية» أو «خصامية» . إن المعارف الحديثة وقد ألقت النور على تاريخ اليهودية - المسيحية والتنافس بين الطوائف توضح وجود أمور تحير قراء عصرنا ، لم يعد مفهوم المبشرين كشهود معاينين قابلاً للدفاع وإن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين . إن مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس (الأب

بينوا والأب بوامار) تثبت جيداً أن الأناجيل قد كتبت ونقحت وصححت أكثر من مرة . ولهذا ينذر هذان الكتابان قارئ الإنجيل بأن عليه أن يتخلى فى أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر .

إن الطابع التاريخى للأناجيل لا يسمح بأى جدل ، لكن هذه الوثائق تعلمنا قبل كل شيء وعبر الروايات الخاصة بالمسيح ، بعقلية الكتاب المتحدثين باسم الطوائف المسيحية الأولى التى كانوا ينتمون إليها وتعرفنا بوجه خاص بالخصومات بين اليهود المسيحيين وبين بولس : إن دراسات الكاردينال دانيلو تعتبر حجة فى هذه النقاط .

فكيف ندهش إذن لتشويه المبشرين لبعض أحداث حياة المسيح ، هؤلاء الذين كانوا يهدفون إلى الدفاع عن وجهات نظر شخصية . كيف ندهش لحذف بعض الأحداث ، كيف ندهش للطابع الروائى فى بعض الأحداث الأخرى ؟

هذا يؤدى بنا إلى مقارنة الإنجيل بالشعر الملحمى فى أدب القرون الوسطى . وإنها لموحية حقًّا تلك المقارنة مع « ملحمة رولان Chanson de Roland ، وهى أكثر الملاحم شهرة ، تلك التى تقص فى شكل روائى حدثاً وقع بالفعل . هل يعرف القارئ أن هذه الملحمة تقص حدثاً حقيقيًّا : كمين وقع فيه ظهر جيش شارلمان الذى كان يقوده رولان بممر رنسفو Roncevaux؟ إن هذا الحدث ذو أهمية ثانوية قد وقع فى قول الحولية التاريخية (ايجنهارد Eginhard فى ١٥من أغسطس عام ٧٧٨ م ، ولقد ضخم هذا الحدث حتى وصل إلى أبعاد أمر حربى ، معركة فى حرب مقدسة . إن الرواية خيالية ، لكن هذا الخيال لا يحجب حقيقة إحدى معارك شارلمان التى قام بها ليؤمن حدوده ضد تسلل الشعوب المجاورة : تلك هى الصحة والشكل الملحمى للرواية لا يمحوها .

ونفس الأمر بالنسبة للأناجيل : فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص ، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده . لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح : فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها .